الشخصيّة الصّوفية للشيخ
محمّد عُثمان سِراج الدّين النقشبندي
(١٣١٤ هـ، ١٨٩٦ م إلى ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م)

Sufi personality of Sheikh Muhammad Othman

Siraj al-Din al-Naqshbandi

إعداد

مادح خالد مصطفي المفتي

الدكتور علي تنيك

Preparation

Madih Khalid Mustafa al-Mufti,

Doc. Dr. Ali Tenik

Iraq / Sulaymaniyah Governorate

ملخص البحث

نتحدث عن إحدى جوانب حياة أحدِ اكبرِ الشّخصيات الإسلامية الذي عاش في القرنين التاسع عشر والعشرين وبذل جهداً فريداً في مجال العلم والتصوف والدّعوةِ والإرشاد وخدمة الاسلام والإنسان، وهو العالم المِفضال الشيخ محمّد عثمان سراج الدين النقشبندي الشهرزوري الحسيني، الذي هو من سليل أسرةٍ عِلميةٍ ذهبيةٍ دينيةٍ عريقة، تنتهي الى النسب الطاهر، عُرفوا اباً عنْ جَدّ بالعلم والتقوى والولاية والكرامة وخدمة طلاب العلم والفقراء، وعلاج أمراض القلب والجسد الظاهر منها والباطن حسبة لله، نعرّف بهِ أولاً فنتحدّث عن حياته الشخصيّة والعلمية، ثم نتحدث عن الشخصية الصوفية لديه وفهمه لعلم التصوّف، ثم ننهي البحث بخاتمة وفهرَسٍ للمصادر والمراجع، وبالله تعالى التوفيق، وله الحمد أولا وآخراً.

Research Summary:

We talk about some aspects of the life of one of the greatest Islamic personalities who lived in the nineteenth and twentieth centuries and made a unique effort in the field of science, mysticism, advocacy, guidance and service to Islam and human, and he is the distinguished scholar Sheikh Muhammad Othman Siraj al-Din al-Naqshbandi al-Shahrazuri al-Husseini, who is a descendant of an ancient religious golden scientific family, ending with the pure lineage, they are known from father to son with knowledge, piety, guardianship, dignity, serving students of knowledge and the poor, and treating diseases of the heart (spirit) and body, visible and inward, in the sake of Allah, we introduce him first, so we talk about his personal and scientific life, then we talk about his Sufi personality and his understanding of the science of Sufism, then we end the research with a conclusion and an index of sources and references, finally our succeed is by God Almighty alone, and praise be to him, first and last.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين, جَعل العلماءَ ورثةَ الانبياءِ والمرسلين، ونور قُلُوبَهم بأشعّة أسرار اليقين، وأجلّ قدرهم وجعلهم شموساً وكواكب يتراءون للناس ليهتدى بهم في الظلمات، والصلاةُ والسلام على حَبيبِ الحَقِّ وقدوة الخَلق سيد الكائنات، شَفيعنا حضرةِ مُحمَّدٍ الذي ختمت به النبوات والمعجزات، وعلى آله وصحبه الاتقياء الأصفياء السادات. أما بعدُ:

فإنَّ من نِعَمِ الله تعالى على هذه الأمَّة الإسلامية أيضاً، أنْ قيَّضَ لها علماءَ أجلاَّءَ عملوا بكل جدٍّ وإتقان، على حفظ مصادر هذه الشريعة الغرَّاء من التَّلاعب والعَبَث، تفقهوا في الدّين وجاهدوا واجتهدوا، وفتح بصيرة هؤلاء العلماء إذا عرفهم بالاولياء والعلماء العارفين الربانين، ونهلوا من علومهم المعنوية وأضافوها إلى علومهم الظاهرة المكتسبةِ، فحصلوا بذلك على علمي الظاهر والباطن، وصاروا ذي الجناحين ، ولولا هم لضلَّ الناس بعد الهداية نحو الغواية، وهؤلاء العلماء قد وقفوا جميع أيام حياتهم خدمة للناس في جميع نواحي الحياة، فكما وصّوهم بالالتزام بالشريعة وكما كانوا أطباء لقلوبهم فعلموهم كيفية تزكية النفس وتصفية القلب، كانوا أيضاً أطباء عرفاء داوو المرضى وعالجواهم بأرخص العلاجات مما ألهمهم الله تعالى، فاستخدموا العلوم الباطنية والمعنوية لخدمة الأمّة.

ومن جملة العلماء العاملين، المخلصين المستقيمين، على خدمة الشريعة والطريقة والعلوم النافعة للقلوب والأجساد، والذي نحن بصدد ذكر شخصيّته الصوفية ذي الجناحين: حضرة الشيخ محمد عثمان سراج الدين الثاني النقشبندي القادري الحسيني،الذي ليس هو فقط بل شاء الله أن يكون آبائه الأماجد كلهم كذلك، فوالده حضرة الشيخ محمد علاء الدين واعمامه كل من الشيخ نجم الدين والشيخ حسام الدين، وجده حضرة ضياءالدين وأعمام والده كل من الشيخ محمد بهاء الدين والشيخ عبدالرحمن أبو الوفا والشيخ أحمد شمس الدين، ووالد جده: حضرة الشيخ عثمان سراج الدين، كلهم كانوا ذو جناحي العلم الظاهر والباطن، زكوا نفوسعم، وعملوا على تزكية نفوس المريدين وساروا على نهج الصوفية القدماء، أخذوا الطريقة من السلسلة الذهبية من مولانا خالد الشهرزوري ذي الجناحين. فالشيخ سراج الدين كان من سليل هذه الشجرة العثمانية المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء وهو (قدس الله سرّه) جديرٌ بأن يُدرَس حياته وخدماته أكاديمياً، فكلُّ جانب من جوانب حياته من الممكن أن يكتب عنه رسالة من رسائل الماجستير أو أطروحة الدكتوراه.

فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، وتغمده برحمته الواسعة وأدخله وإيّانا دار خلده بفضله آمين،

حيث بذل مافي وسعه لخدمة الدِّين ولخدمة العلوم ولخدمة الناس وسد حاجاتهم وعلاج قلوبهم ظاهرا وباطنا. وهنا ينبغي أن أُشير إلى عدّة أُمور:

الأمر الأول : اختيار الموضوع.

فمما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع :

أولا: لابد أن نعرّف هذا الجيل بهذه الشخصيات العالمية الفريدة، ليتعرّفوا على أخلاق العلماء ومناهج الأولياء الكمّل، حتى لا يقعوا في شباك المدعين للولاية، الذين لم يذوقوا حلاوة الأيمان بعد، ولم يتبعوا منهج التصوف، كي لا يَصدّوا المسلمين عن الطراط المستقيم.

ثانياً: عندما يسمع المسلم في زماننا بسيرة الأولياء السابقين وأخلاقهم الزكية وكراماتهم الكثيرة وتصوفهم وخوارقهم العجيبة وتصرفاتهم الروحية وعلومهم النافعة وطبابتهم العجيبة للقلوب والاجساد يقع في حيرة مما يسمع ويتعجب !!

فيخطر بباله: هل لما يروى عنهم حقيقة نقلها عنهم العلماء والصالحون وحافظوا عليها كأمانة علمية، أو أن ذلك ليس إلا من افتراءات الكذابين أو غلوا المحبين؟ فإذا رأوا شخصية صوفية في زماننا أو قرؤا عنه نفس تلك الصفات والأخلاق الحميدة المحمدية، لتبيّن لهم صدق ما ورد عن الأولياء السابقين، ولما استحال عندهم ما حكيَ عنهم. لذلك أخترنا الحديث عن شخصية فريدة متخلقة بأخلاق السلف الصالح، وما حادَ عن منهجهم وسلوكهم قيد أنملة.

ثالثاً: الكثير من مسلمي اليوم عندما يسمعون بسيرة الاولياء والعارفين لا يصدقونها؛ وذلك إمّا بسبب قساوة قلوبهم، ولأنهم لايعرفون أن الاولياء والعلماء جلّهم كانوا أولي مقامات رفيعة، أو لأنهم يقولون: إنّ تلك الأيام قد ولّت وأدبرت ولن تتكرّر، ومن المحال وجود من ينتهج منهجهم في عصرنا. فاختيارنا لشخصية الشيخ سراج الدين يزيل هذه الشكوك والشبهات ويتيقن المسلم عند قراءة هذه البحوث والدراسات، بأن الأولياء موجودون في كل زمان وأنهم متخلّقون بأخلاق المصطفي ﷺ، سائرون على منهج صحبه، متبعون لشريعته، وأن طائفة من أمة الحبيب لا يزالوا ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم كما أخبر بذلك الحبيب ﷺ[1]، والشيخ محمد عثمان سراج الدين هو من هؤلاء الأولياء العرفين،وكذلك كانت

(١) اشارة إلى الحديث الصحيح الذي روي بطرق، ومنها ما رواه الامام ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ -عز وجل- لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا)). سنن ابن ماجة ،لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ت)، عدد الأجزاء: ٢.١: ٥

آبائه الأماجد، فقد سلكوا أيضاً سبيل السلف الصالح في تقواهم وعباداتهم وسلوكهم، ومن اتّبع مناهج هذه المشايخ الصادقين فلا شك أنّه يكون ضمن الفرقة الناجية، المنصورة، لذلك كان حرياً بنا أن ندرس الجانب التصوفي لهذه الشخصية الفريدة إن لم نستطيع أن ندرس سيرته بالكامل.

الأمر الثاني: الدراسات السابقة:

بالرغم من البحث الحثيث لم أجد دراسة أكاديمية قد كتبت عن شخصية الشيخ محمد عثمان سراج الدين، لاعن حياته الشخصية ولا عن حياته العلمية، ولا عن تصوفه وخدماته الجليلة، أما المؤلفات والرسائل التي كتبت في حياته ومآثره وكراماته فلم يكتب بشكل أكادمي، بكل كتبت أبحاث متفرقة لم تشتمل حياته بشكل منتظم، وإن وجدت جوانب كثيرة في حياته فهي متفرقة لاتشبه الرسائل العلمية العصرية، فكان من الممكن أن يكتب عن هذه الشخصية العالمية رسائل كثيرة؛ ولكن لم يخصص حتى الآن برسالة علمية أو أطروحة،غير أنى كتب عن هذه الشخصية الفريدة وسميت أطروحتى بـ ،الشيخ محمد عثمان سراج الدين وجهوده في علم التصوف، ومن المظنون أنّ أطروحتي التى كتبتها وأتممتها ولم تتم المناقشه عليها بعد، ستكون أول أطروحة علمية أكاديمية كتبت بشأن هذا العارف الجليل والمرشد النبيل. لذا قد إخترت مبحثا من تلك المباحث، واخترت شخصيته الصوفية، بعد التعريف به وبحياته الشخصية والعلمية.

الأمر الثالث : اهمية البحث.

تأتي أهمية البحث مِن ثلاث زوايا رئيسيّة:

الزاوية الاولى: أهمية الشخصية، فالشيخُ المرحومُ عَلَمٌ مِنْ أعلامِ العراق والعالم الإسلامي بأسره، فالمُستمسكونَ بطريقته مُنتشرون في العالَم مِنْ أقصى آسيا إلى أفريقيا وأوروبا وإلى جنوب وشمال الامريكيتين، وقد كان لطول دعوته آثاراً حميدة في الخاصّة والعامّة، ولا زالت المدارس التي أنشاها عامرةٌ بطلابِ العلم، وخدماته معروفة على المستوى الأقليمي والعالمي.

الزاوية الثانية : حيث ان هذا العصر الذي طغى فيه عالم المادة على عالم المعنى بحيث يكاد يندرس الجانب الروحي والعرفاني في عالمنا هذا، مما أدى إلى ظهور تيارات متطرفة، فمن اجل ردّ الاعتبار اللازم للجانب المعنوي والروحي، كان الاختيار على هذا العلم العرفاني والتعريف به، وإبراز الجانب التصوفي لديه، ليدرك الناس أن للتصوف حقيقة وأن الصوفية الحقيقيون هم السالكون لطرق الأصحاب المتخلقون بأخلاق المصطفي ﷺ.

الزاوية الثالثة : من النادر جدا ان تجد مجموعة من المشايخ والعلماء الربانين العارفين في طائفة واحدة وسلسلة واحدة، فكانت السلسلة الذهبية للشيخ سراج الدين من هذا النوع، فهو ابن الشيخ علاء الدين ابن الشيخ ضياء الدين ابن الشيخ عثمان سراج الدين الطويلي، وكلهم كانوا صوفيون حقيقيون بمعنى الكلمة؛ بل اقطاباً للطريقة في عصورهم، الغريب في الامر كيف اصطفى الله هذه الاربعة من سلسلة واحدة ونسب واحد، مع ان القطبية أمر وهبي وليس بكسبي كباقي العلوم المكتسبة !!؛ ولكن كانت هذه منحة، والمنحنة فضل من الله يهبها لمن يشاء، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المَائدة:٥٤]، فكان شأنهُ في ذلك شأنَ سيدنا يوسف (على نبينا وعليه الصلاة والسلام)، الذي قال في حقه سيدنا رسول الله ﷺ: ((إنّ الكريمَ ابنُ الكريمِ ابن الكريمِ ابن الكريمِ، يوسفُ بن يعقوبَ بن إسحاقَ بنُ إبراهيمَ خليلُ الرّحمن» [(١)].

الأمر الرابع : منهجي في كتابة هذا البحث :

قد سلكتُ المناهج العلمية المعتبرة والمعترفة بها لكتابة البحوث العلمية، واعتمدتُ واتَّبعتُ على أهم القواعدَ والضّوابط العلميَّة المعروفة والمتَّبعة في الجامعات، أذكر هنا أهم ما أنجزته وعملته:

١. تقديم اسم المؤَلِّفِ والمصنَّف على المولِّف، ونوع الخط وحجمه في الصلب والهامش، وتباعد الاسطر وتباعد الصفحة من الجهات الاربعة بالقياسات المطلوبة، وترك فراغ بمسافة خمسة نقاط للبدأ بالسطر، كل ذلك وغيرها كانت من المناهج المتبعة المعروفة.

٢. استخدمت بعض الرموز للاختصار، مثل استخدام حرف التاء هكذا: (ت:) بدلا من كلمة (المتوفى) وحرف الواو بدلا من ولد، وحرف الطاء بدلا من الطبعة مع الرقم، إما الطبعة الأولى فلم أكتبها لأنها الغالب بل كتبت من الثانية فما قوق، وكتبت سنة الطبع، و (د.ت) بدلاً من بدون تأريخ، وكتبت تواريخ السنين بالأرقام بدلا من الكتابة، واكتفيت باحد التاريخين أحياناً، ورمزت بـ حرف (هـ) بدلا من الهجري وبـ (م) بدلا من الميلادي.

٣. توضيح النَّص بما يتطلبه الخط العربي من علامات الترقيم، والتنقيط، والرّموز والعلامات الدالة على الوقف والابتداء، والاستفهام والتعجب، وما إلى ذلك من الأمور المعتمدة في البحث العلمي حسب الحاجة.

(١) مسند الإمام أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل (و:١٦٤ - ت:٢٤١ هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،عدد الأجزاء: ٥٠ (آخر ٥ فهارس)، سنة الطبع: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. ١٤ : ١٢١.

٤. العبارات المتكرّرة مثل عبارة: ﷺ، وعبارة: الترضي رضي الله عنه وعبارة الترحُّم رحمه الله وعبارة (قدس الله سره) أو(قدس سره) جعلتها بين الأقواس لا الشوارط، لعدم اعتبارها من الجمل المعترضة آخذا بذلك المنهج. أما الجمل الاعتراضية فقد وضعتها بين الشوارط هكذا: - الجملة الاعتراضية -..

٥. وضعت علامة التنصيص عند أقوال المشايخ والعلماء - إذا كانت بالنص - بين قوسين صغيرين. أما إذا كانت الاقوال مترجمة من لغة أخرى ولم تكن بالنص فاكتفيت بنقطتين شارحتين. واستخدمت القوصين الزهراويين للآيات القرآنية.

٦. كتبت بطاقة المؤلفات بالكامل (كاسم المحقق وعدد الطبعة ـ إن لم تكن الاولى. ومكانها وتاريخها أن وجد)، في أول ورود لها، أما للمرّة الثانية والثالثة فاكتفيت بذكر اسم الكتاب والمؤلف ملخصا مع رقم الجزء والصفحة.

٧. عملت ملخصا في بداية البحث باللغتين العربية والإنكليزية.

وبذلك فالمظنون إني عملت اللازم في كتابة هذا البحث، ولا تخلو كتابة عن سهو أو نسيان، والله تعالى هو الموفّقُ والمستعان.

الأمر الخامس: خطة البحث:

كانت خطة البحث على النحو الآتي: اشتمل البحث على مقدمة علمية ومبحثين وكل مبحث مكون من ثلاثة مطالب ثم أنهيته بالخاتمة والفهرس. تحدّثت في المبحث الأول عن الحياة الشخصية للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي ثم الحياة العلمية له، وذكرت كذلك أقوال بعض العلماء وشهادتهم له عن شخصيته الصوفية، وتحدثت في المبحث الثاني عن رياضاته وسلوكه في بداية أمره ونشوءه، ثمّ فهمه لعلم التصوف من الجانب العلمي والروحي والعملي. وأنهيته بخاتمة وفهرس المصادر والمراجع، وبالله تعالى التوفيق، وله الحمد أولا وآخرا.

المبحث الأول

الحياة الشخصية والعلمية للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي

ويتناول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة الشخصية للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي.(اسمه ونسبه، ولادته ونشأته، كنيته ولقبه).

وهو الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي النُّعيمي، ابن حضرة الشيخ محمد علاء الدين النقشبندي ابن حضرة الشيخ عمر ضياء الدين ابن الشيخ عثمان سراج الدين الحسيني [١]النسب، ينتسب إلى سادة النعيم وإلى سيدنا الحسين بن سيّدنا علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) ونسبته إلى الطريقة النقشبندية ، وكذا القادرية اباً عن جد [٢]..

كانت ولادة الشيخ محمد عثمان سراج الدين في عام: ١٣١٤ للهجرة، وفي شهر صفر في قرية صفيآوا أو بيارة[٣]، كما ذكره بنفسه (رحمه الله) نقلا عن والده [٤]، وبالتحديد في اليوم السادس عشرة منه، الموافق له : (٧/٢٧ / ١٨٩٦ للميلاد).

ولقد نشأ الشيخ محمد عثمان في حضن أبوين كريمين، وكان مدللاً عندهما، مستبشرين بالنبوءة التي كانت قد وصلتهم من لدُن جده الشيخ عمر ضياء الدين، فكانوا يراعونه ويهتمون به أشد الاهتمام، منتظرين بلوغه بشغف، وكذلك قضي طفولته في كنف ورعاية جده حضرة ضياء الدين حتى بلغ الرابعة

(١) ينظر: سراج القلوب، للشيخ محمد عثمان النقشبندي (رئيس الطريقة النقشبندية) ، طبعة:٢، اسطنبول ـ تركيا ، سنة الطبع : ٢٠٠٩. ، ص :١٠١.

(٢) ينظر: كه وهه ري حه قيقه ت، (جوهر الحقيقة)، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي، إقليم كوردستان ـ اربيل.١٢ مجلدا ولم يكمله، المجلد الاول طبع سنة :٢٠٠١ م، والمجلد ١٢ طبع سنة : ٢٠٢٣ م. ،١:١٣٢.

(٣) قرية "صفياوا" هي قرية تابعة لقضاء "جوانرو" الواقعة في كردستان ايران. ينظر: جوهر الحقيقة، للشيخ محسن المفتي،.١:٩٤.

(٤) ينظر: سراج القلوب، للشيخ سراج الدين، ص: ١٠٢. وقال الشيخ سراج الدين : كنا ساكنين في صفياوا، ولكن والدي (رحمه الله) كان كثير الاسفار والتنقل خاصة بين صفياوا وبيارة وبمصاحبة أهله، فمن المظنون ان ولادتي كانت في بيارة. ينظر: جوهر الحقيقة، للشيخ محسن المفتي :٧:١١١.

من عمره المبارك، وقد تشرف بزيارته مراراً.

يذكر الشيخ ألطافَ جده معه قائلاً: «رأيت وتشرّفت بطلعَةِ جدّي حضرة الشيخ عُمر ضياء الدين وكان يحبّني كثيرا، وأتذكر عدة مرات من مجالسه وأحاديته، ومرّة ضمني إلى صدره وقبّل فمي ووضع قدراً من ريقه المبارك في فمي فابتلعته...»[١].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عمر ضياء الدين قد أهتم به وبحفيده الآخر خالد في طفولتها قبل أن يتجاوزا الرابعة من عمرهما، حيث تفرّس فيهما لِما سيكون من شأنهما، فتلطّف معهما وأكرمهما برسالة خطية، حيث يذكر الشيخ سراج الدين هذا الإهتمام ويقول:

«وإن جَدّي الماجد حضرة ضياء الدين أظهر لي عَطفا ولُطفاً ببِشاراته وإشاراته، وقبل أن أبلغ الرابعة من العمر أرسل حضرته رسالة كتبها بخط يده المباركة باسمي واسم أخي مولانا خالد، احتفظ بها إلى الآن، أدرج هنا نصها، تيمنا وتبركاً، كتبها بمناسبة عودة والدي من السفر. وهذا جزء من نص الرسالة: «نورعيني بابا شيخ عثمان وبهاء الدين محمد خالد، اقبل عيونكم، عَمّر الله بنور الطريقة الموافقة للشريعة قلوبكم، وأوصلكم مقام الحقيقة بالخير..» [٢].

واسم والدته : نوري جان بنت الشيخ محمد صادق الوزيري، كانت (رحمها الله) امرأة صالحة تقية، محبة للخير، تقوم بخدمة المسلمين خاصة للمريدين منهم والسالكين، وتأمر بغسل ملابسهم، تهيء لهم طعاما جيداً نسبياً وتقدمه لهم كل اسبوع ـ يوم الخميس وليلة الجمعة[٣].

ثمَّ يتحدث عن مناقب والدته فيقول:» كنت طفلاً صغيراً فتشدُّ على ظهري رغيفاً مخصوصاً بالزبدة لأعطيه لسالكي الخانقاه، وقبل وفاتها حضرت إلى الخانقاه وودّعتني قائلة: «خدمتك كثيرا لعلي لا أراك أرجو دعاء الخير، وكانت (رحمة الله عليها)، تحبي كثيرا، تقي ببيدها ثقل اللحاف على وجهي وقت النوم، وكانت ذاكرة لله كثيراً، يأخذها النوم جالسة ولسانها وأصابعها على المسبحة لا يتوقفان عن الذكر والصلاة على النبي ﷺ»[٤].

أما نسبه من جهة أمه، فكانت نور جان ابنة الشيخ محمد صادق الوزيري، كانوا من السادة أيضا. وقد نال الشيخ محمد صادق بتواضعه وسلوكه شرف اجازة المشيخة؛ ولكنه أبى واشتغل بدلا من ذلك

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.، ص:١٠٦. والرسالة بكاملها مصورة في ظهر الكتاب.
(٣) ينظر: المصدر السابق،ص:١٥٥.
(٤) المصدر نفسه.

بخدمة الناس مادياً ومعنوياً[١].

وأما كنيته ولقبه: فبالرغم من أن الشيخ سراج الدين كان له مجموعة من الأولاد؛ مثل الشيخ جمال الدين، والشيخ عبدالملك، فلم يكنّى باسمهما أو بأسم غيرهما من أبناءه، فلم يدعى يوماً بـ (ياأبا عبد الملك) وسبب ذلك أن لقب (سراج الدين) قد طغي على كل لقلب وكنية، فكان يحب هذا اللقب الذي لقبه به جده الشيخ ضياء الدين. ولم يكن الشيخ سراج الدين من الذين يحبون مديح الناس، وكان (رحمه الله) لا يبالى بذلك، حتى أنه لما أخبروه أن الشيخ الفلاني قد ذمك وأخطأ في حقك، لم يبالي بذلك؛ بل ارسل اليه بالهدية مع السلام والتحية، أرسل إليه جُبّة من الصوف ومبلغ من المال وقال لمن حوله: «ذم العالم لنا احب إلينا من مدح العوام»، وقد تكررت هذه الحادثة في إيران وغيرها.هكذا كان طبعه (رحمه الله)، وقد اشتهر بين زائريه خاصة ذوي المرضى والجوائج بـ (الشيخ عثمان دورود) أو (الشيخ عثمان بيارة)، وسبب هذه التسمية أنه قد عاش وخدم المسلمين في (دورود)[٢] (وبيارة)[٣] مدة مديدة.

وأما عند المريدين وأهل الطّرق، فكانوا يطلقون عليه اسم: حضرة الشيخ عثمان، أو حضرة سراج الدين، ولم يكن تسميته (رحمه الله) بسراج الدين من عند نفسه، ولا من قِبلِ المريدين ، بل كان ملقباً بهذا اللقب من قِبلِ جده القطب الشيخ عمر ضياء الدين، والعجيب في الأمر أنه سماه عثمان ولقبه بسراج الدين قبل ولادته بعدة سنين، حيث حكى الشيخ (أعلى الله مقامه) هذه الحادثة في مجالسه مرارا وسجلها في كتابه (سراج القلوب) فقال: «وقد سَمّاني والدي (قدس سره) بعثمان سراج الدين بإشارة من جدي الشيخ عمر ضياء الدين» (قدس الله سرّه)[٤].

ومن ألقابه الدالة على علو شأنه لقب :(نائب سيد المرسلين)، فالمرشد الكامل في كل عصر من العصور يلقّبون بهذا اللقب استحقاقاً[٥]، ولم يكن الشيخ يستطيع أن ينكر هذا اللقب[٦].

ومن ألقابه الدالة أيضاً على مكانته في علم التصوف لقب: (صاحب الحياء والوفاء والأدب والتمكين) ومنها أيضاً: (سلطان الأولياء الكاملين) و(الغوث الأعظم) أو(القطب الأعظم)[٧]، و (صاحب الضمنية

(١) ينظر: المصدر السابق، ص: ١٥٢.وفي الطبعة الاولي، ص:٩٢.

(٢) قرية دورود: قرية في كردستان الايران تابعة لمدينة (مريوان) تبعد عنها حوالي ٣٠ كم.

(٣) ناحية بيارة: تقع في كردستان العراق، وهي تابعة لمحافظة حلبجة الشهيدة تبتعد عنها مسافة ٢٠ كيلومتر.

(٤) ينظر: سراج ، القلوب، للشخ عثمان النقشبندي، ص:١٠٢.

(٥) ليس المقصود بالاستحقاق أن يلقبه به أقربائه أو محبوه بل الاستحقاق يجب أن يكون من عند الله، فالله تعالى يختص برحمته من بشاء ويجعله مستحقا لتلك الرتبة والمقام.

(٦) ينظر: جوهر الحقيقة، للشيخ المفتي ٢٨١:٢

(٧) يقول الاستاذ العلامة الملا باقر البالكي : تشرفت بخدمة حضرة الرسول الأعظم في المنام فقال لي :ملا باقر أقرأ في سلسلة

الكبرى الأتم). ولكن اللقب الذي كان يفتخر به دوماً، ويحب أن يلقب به ويذكره الناس به هو لقبه الدال على تواضعه: (خادم العلماء والفقراء والمساكين) فلا يخلوا رسالة من رسائله الوفيرة منه حيث كان يكتب في خاتمتها: (خادم العلماء والفقراء والمساكين عثمان النقشبندي، مع توقيعه النادر العجيب الصعب تقليده أو تزويره.

المطلب الثاني: الحياة العلمية للشيخ سراج الدين.(دخوله في سلك التعليم وشيوخه)

يذكر الشيخ الرّاحل كيفية اهتمام والده به وادخاله في سلك التعليم منذ نَشأته فيقول: « ومن نعم الله عليَّ أن اهتمَّ بي والدي اهتماماً خاصاً، ورباني تربية مقصودة ظاهرة ومعنويةً ، فأدخلني في المدرسة الدينية لتعليم العلوم الإسلامية وفق ما هو سائد في هذا الوقت، ولم يغفل عنّي في التربية واكتساب علوم القرآن، وكان يحثني على حفظ ما أدرسه من مختلف العلوم [١].

ولم يكن الشيخ علاء الدين من الذين يربون اولادهم على حياة الرفاهية ورغد العيش، بل كان يؤثر عامة الناس على اسرته في حوائجهم، ويأخذ من قوتهم ليخدم به الفقراء، ولقد ربّى الشيخ علاء الدين أولاده في تلك الأوضاع وعوّدهم على تحصيل العلم مع خشونة الحياة؛ لأن ذلك كان أقرب إلى ما كانوا مقبلون عليه من حياة الزهد والتصوف وارشاد المسلمين، تحقيقا لما بشّر به جدّه في إحدى وصياه. وقد ذكر الشيخ ذلك قائلاً: «وكان يشجعني على الاختلاط والعيش مع الطلاب والتعوّد على خشونة العيش في مدرستي دورود وبيارة المشهورتين دون التمايز، فبلغت في تحصيل ما لا بأس به من العلوم مع أخي مولانا خالد الذي كنّا كتوأمين»[٢].

شيوخه في علم الظاهر.

كان للشيخ محمد عثمان منذ صغره شيوخاً وأساتذةً كثيرين في مختلف العلوم والمعارف، شأنه في ذلك شأن العلماء الأعلام والمشايخ العظام والعارفين والأقطاب، حيث كان للامام أبي المواهب

الختم للشيخ عثمان لقب : القطب الأعظم، فعلمت أنه هو القطب الأعظم ولكني لم أقرأ له هذا اللقب في الختم، بإعتبار أنه لا تأخذ الأحكام من الرؤيا، فلما جلست في حلقة الختم وقرأت السلسلة ووصلت إلى إسمه الكريم، أدنى فمه المبارك من أذني وقال لي بصوت خافت: لا بأس بأن تنفّذ ما أمرك بحضرة الرسول ﷺ ، مشيراً إلى رؤياي. فقرأت له هذا اللقب من ذلك اليوم.المصدر: مقابلة شخصية مع الأستاذ ملا يونس المريواني الإيراني بتأريخ : ٢٠٢٢/٩/١٦. وبحضور الأستاذ ملا عبد الباسط ابن الملا محمود السياناوي المريواني وجمعٍ من العلماء.

(١) سراج القلوب، للشيخ محمد عثمان سراج الدين. ص:١٠٤.١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص:١٠٥.

عبدالوهاب الشعراني ٢٠٠ شيخاً من شيوخ العلم و١٠٠ شيخاً من شيوخ الطريقة كما ذكره تلميذه المناوي[١]، وكان لسراج الدين شيوخاً للعلوم الظاهرة العقلية منها والنقلية، وشيوخاً للعلوم الباطنة، لعلم التصوف والأخلاق والتزكية، نبدأ بعلم التجويد وقراءة القرأن الكريم الذي هو مصدر كل العلوم ،فقد أحب الشيخ قراءة القرآن منذ صغر سنه ودرس القرآن الكريم وعلم التجويد عند المقرئ المصري المشهور: الشيخ مصطفى اسماعيل[٢]،[٣]، فبرع في قراءة القرآن وتجويده وكان له مقامه الخاص به، وله صوتٌ شجيٌّ مؤثِّر، وبعض تسجيلاته محفوظة.

ومن أساتذة الشيخ عثمان في العلوم الشرعية المكتسبة:

الأستاذ ملا عبدالرحيم، والد ملا محمد «رَزله يي» البنجويني. حيث يقول:عندما زرت الشيخ سراج الدين، أكرمني وأجلسني بقربه وقال: أيها الناس هذا ملا محمد ابن استاذي ملا عبدالرّحيم الذي كان قد درّسني[٤]. وهذا يُعَدُّ تواضعاً من قبل الشيخ سراج الدين ووفاء منه لشيخه الذي درّسه في صغره.

ومن شيوخه وهو ابن الخامسة عشر:

الحاج آغا محمد في جور[٥]. ينقل سيد باقر (المَرِيواني)، عن الشيخ قوله : كنت أدرس عند الحاج آغا محمد، وكلّما أرفع رأسي أراه واقفا أمامي بأدب و إخلاص، فأطلب منه أن يجلس؛ ولكنه يأبى ذلك فأقول له: لم تقف هكذا يا شيخي؟ أستحلفك بالله هلا استرحت، فيأبى فأقول: أنا أستحي منك، فان كان الامر كذلك ولم تجلس فأنا مضطر لأن أغادر، وكان(رحمه الله) يجيبني قائلاً: أرى أنَّ الله قَد لطف بك وجعلك

(١) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي،المعروف بعبد الحي الكتاني (ت:١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: ٢.، (د. ت). ٢:١٠٧٩.

(٢) الشيخ مصطفي اسماعيل، هو أحد القرّاء المصريين البارزين، ولد في قرية «ميث غزال» بمحافظة الغربية عام:١٩٠٥ م، أكرمه الله (عَزَّ وَجَلَّ) بحفظ القرآن قبل العاشرة، انتقل بعده إلى المعهد الدينى بطنطا، فدرس فيه العلوم الشرعية والعربية وغيرها، طاف بالعديد من البلدان، قارئاً للقرآن، فقرأ في باريس، وكولالمبور، وكراتشي، ودول آسيا، والدول العربية والإفريقية، حيث تكثر بها الجاليات. ينظر: إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري، إلياس بن أحمد حسين الشهير بالساعاتي، بن سليمان البرماوي، تقديم: الشيخ محمّد تميم الزّعبي، دار الندوة العالمية، سنة الطبع، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، في جزءين ، ٢:٣٨٨.

(٣) الملحق بسراج القلوب، للشيخ سراج الدين، كتبه: الملا عبداللطيف الباموكي، ص:٣٣٦.

(٤) المَريواني ، نسبة إلى مدينة مرِيوان ،بكسر الراء، وهي أحد الأقضية في كردستان ايران.

(٥) ينظر: جوهر الحقيقة ، للشيخ محسن المفتي، ٣:٢١٧.. ،٢:٢٥٧..

من الأكابر، وخلقك لأمر هام، لذا فإني مضطر لأن أقف هكذا متأدباً في خدمتك[١].

يقول الشيخ سراج الدين:» وبعد مدّةٍ رجعت إلى خدمة والدي ـ حضرة علاء الدين، ولبثت فترة عنده، فقال لي يا ولدي: مالي أراك لا ترجع إلى درسك وإلى استاذك في (جؤر)[٢]، فقلت له: مولاي إن أستاذي الحاج آغا محمد يتأدب معي ويُبجّلني كثيراً، وأنا أستحي منه عندما يبالغ في توقيري، فهلا سمحت إلا أرجع اليه، فلما رأى إصراري على ذلك، أعفاني من الذهاب إليه ، وأرسلني إلي شيخ آخر في مدينة (سَقْز)، وكان هو أيضاً بنفس الأدب، فدرست عنده لمدة سنة، وبعدها قال لي : ليس بإمكاني أن أدرّسك بعدُ، ارجع إلي ما خلقك الله من أجله [٣].

- كذلك درس الشيخ في شبابه عند الاستاذ سيد محمدي المدرس في خانقاه دورود لوالده [٤].

ينقل الاستاذ ملا احمد القاضي عن الأستاذ ملا صديق ابن ملا عبدالعظيم المجتهدي لطيفة عن هذا الاستاذ وكرامة للشيخ محمد علاء الدين النقشبندي ـ فيقول: كنت طالباً ادرس في دورود، وكان الشيخ عثمان يدرسُ عند الأستاذ ملا سيد محمدي (مدّرسُ دورود)، فطلب منه أن يعزمه ويدعوه إلى وليمة، لكن استاذه لم يكن سَخياً بما فيه الكفاية، وربما كان محقاُ وذلك لسوء الحالة المعاشية وندرة المواد الغذائية وغلائها أن ذلك. وأخيراً لبّى طلبه وعزمه إلى بيته، وبعد دقائق، سأل الشيخ علاء الدين الحاضرين لديه: أين ابني عثمان؟ قالوا : المظنون إنه ذهب إلى بيت أستاذه المحمدي، فقال الشيخ لمريديه ولضيوفه: هلموا جميعاً إلى بيت الاستاذ المحمدي. فذهبوا إلى بيته وطرقوا بابه: فلما فتحه أصابه الذهول، إذا به يرى الشيخ ومعه أهل الخانقاه كلهم، وكانو بين (٧٠إلي٨٠) شخصاً،فقال: يامولاي والله ما طبخنا إلا مُدّاً من الأرز لا يكفي إلا لشخصين أو ثلاثٍ، فلو طلبتم أن يأتوا بالطعام من الخانقاه ليتغدى عليه الناس، فأجابه الشيخ قائلا: كن قوياً فأنت سيّد ونحن ضيوفك، وقل لامرأتك أن تجعل على طعامكم قماشا بحيث لا يرى، ثم تقوم بالاغتراف منه من حافته على المواعين، عسى الله أن يجعل فيه البركة.

يقول الاستاذ المجتهدي: فو الله لقد رأينا أنه أكل منه الجميع وشبعوا وزاد منه حِصّةُ فأرسلوها إلى جارٍ لهم كان أعمى[٥]. ولا غرابة في الأمر، فالله تعالى على كل شيء قدير، يُظهر على يد أوليائه خوارق

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٣:٢١٨.

(٢) جؤر، قرية من قرى ايران في منطقة كردستان مشهورة بالعلم والعلماء.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٣:٢١٩.

(٤) دورود: قرية تابعة لقضاء مَريوان في ايران ،بنى الشيخ علاء الدين المدرسة والخانقاه فيها وكان الخانقاه مزدحما بالناس دوماً، يأتيه القاصي والداني للسير والسلوك أوالتعليم أولقضاء حوائجهم وعلاج مرضاهم،

(٥) ينظر: باخجه ي بؤن خؤشان، (روض الرواحين ملا أحمد القاضي البنجويني،)، يحتوي على بعض من كرامات طائفة

الأمور، كما يُظهره على أيدي أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام). قال الشيخ الرملي:»وَقَدْ قَالَت الْأَئِمَّةُ: مَا جَازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَة لنبيّ جاز أن يكون كرامة لِوَلِيٍّ، لَا فَارِقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا التَّحَدِّيَ، فَمَرْجِعُ الْكَرَامَةِ إلى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالى»[١].

ـ ومن مدرّسي الشيخ سراج الدين: الاستاذ الملا عبدالكريم (خانه شوري)، حيث يذكر الشيخ اسم استاذه هذا ويقول: «...كان الوقت في شهر رمضان وتجمع حول والدي نخبة من العلماء الأعلام، وجمهرة من الفضلاء منهم أستاذي: الشيخ عبدالكريم خانه شوري[٢]، مدرّس قرية احمد برندة، وكنت إمام الجماعة في التراويح...» الخ.[٣].

- ومن المدرسين الأعلام للشّيخ، وربما كان الأعلى والأعلم من بين من تتلمذ على ايديهم: الأستاذ العلامة السيد حسين طاربوغي في طرف (سابلاغ) في إيران، سنة: ١٩٤١م، المعروف بذكائه المفرط وفضله وعلمه، والذي مدحه الأستاذ العلامة مدرّس مدرسة بيارة الملا عبدالقادر المشهور بـ (مه لاي كه وره) أي: الملا الكبير، فقال: «لو محي العلم ولم يبق له أثر أبدا، فإن ملا سيد حسين ينشئه كالأول»[٤]، أي: يبينه ويكتبه من جديد.ـ ومن شيوخه أيضاً العلامة ملا عبدالمجيد السولّاوايى[٥]، ابن الملا عبدالعظيم السَّروآبادي (رحمه الله)، كما حكى ذلك حفيده الملا سعدي العظيمي نقلاً عن الملا محمد مدرّس خانَقاه دورود، والملا عبدالرحمن الشويشي: بأنَّ الشيخ سِراج الدِّين كانَ يُسمِّيهِ أَستاذي في كتاباته[٦].

الشيخ سراج الدين، طبعة جديدة في مجلد واحد، ص: ٥٣٦. ٥٣٨.، و في الطبعة السابقة لعام ١٩٨٤م مطبعة رابه رين ،٢:٦٦، و الشيخ محسن المفتي، جوهر الحقيقة ،١: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(١) ينظر: فتاوى الرملي، لشهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت: ٩٥٧هـ)، جمعها: ابنه، شمس الدين محمد الرملي (ت: ١٠٠٤هـ) ، المكتبة الإسلامية، (ت ـ ن):١٤٣١هـ، عدد الأجزاء:٤. ٤، ٣٣٧.

(٢) خانه شور: قرية من قرى كردستان ايران قريبة من مدينة كرمانشاه.

(٣) ينظر:سراج القلوب، الشيخ محمد عثمان، ص:١٩٢.

(٤) ينظر: تفسير سورة التين، للشيخ محمد عثمان سراج الدين ، ط:١، وقف لله تعالى، ص:١.

(٥) ولد الملا عبدالمجيد بتأريخ: ١٢٦٠هـ في سولاوا، وبعدَ دِراسةٍ مستَفيضَة لِمدة ما يُقارِبُ خمسةً وثلاثين سنة حصل علَى الإجازة العِلميَّة مِن قِبَلِ العلامة الأستاذ عبدالقادر مدرس مدرسة بيارَة، وبعدَ ستِّ سنواتٍ قضاها في التدريسِ في سنندج رَجع إلى مسقطِ رأسهِ بِطَلَبٍ مِن أَعيانِ المَنطِقَة، وكانَ رجلاً صالِحا وارعاً زكيَّاً، وفي سنة ١٣١٥هـ ،عُيِّنَ قاضياً بِدونِ حقوق ماليَّة، وتوفي سنة: ١٣٤٣ هـ، ولمَّا تُوفيَّ كانَ الشَّيخ سراج الدين من الذين حملوا جنازته بنفسه إكراماً له. ينظر: خلوة السالكين، الشيخ محسن الشيخ خالد المفتي، خلوة السالكين وبهجة المتقين في حياة ومناقب حضرة قطب العارفين الشيخ محمد علاء الدين النقشبتدي العثماني، مطبعة كوردستان، سنة الطبع:٢٠١٦ عدد المجلدات: ٢ ،١:١٣٩.

(٦) ينظر: مجلة متبعوا الطريقة، مقالة الملا سَعدي ابن الملا حسن ابن الملا عبدالمجيد السولاوايى، العدد ١٣. ١٤ ، صفحة: ٢٨. ٢٩.

وكان الملا عبد المجيد من خيرة العلماء، لدَرَجةٍ أنه كان يُرسِلُ إلى العلامة الملا باقر البالكي بأنَّ فَتواهُ الفُلاني مَرجُوحٌ والقَولُ الرَّاجِحُ هَكَذا، وكان الأستاذ البالكي حينَما يأتي إلى خانقاه (دورود) يَذهَبَ إلى الملا عبدالمَجيد لِيَشكُرَهُ؛ لأنّهُ ذَكَّره في المسأَلَة الفلانية بالقَولِ الرَّاجِح.

وكان (رحمه الله) تقياً ورِعاً لدرجة، أنّه أفتي مرّةَ في مسأَلَة شرعيَّة، ولَما تبيَّنَ لهُ خطأه في ساعَةٍ متأخرة من اللَّيلِ، ذَهَب معَ أَحَدِ طُلَّابهِ إلى قَريَة (سيپار)، وصَحّحَ لَهُم المسأَلَة ثمّ رَجع.

وقَد شَرحَ كِتابَ «الأَنوارِ» وأَيَّدهُ الأُستاذ الكاني ساناني، ولكِنَّ الشَّرحَ مَفقُود [1].

ومن المظنون أنّ الشيخ الراحل كان له أساتذة أخرون؛ ولكني لم أعثر إلا على ما ذكرت.

المطلب الثالث: مصنفات الشيخ سراج الدين وآثاره العلمية، وآراء العلماء والعارفين في شخصيّته الصّوفيّة.

أ- مصنفات الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي وآثاره العلمية.

قد خلّف الشيخ سراج الدين بعض الآثار العلمية من المؤلفات والرسائل والدواوين الشعرية، ولكن معظمها قد ضاعت بسبب الظروف القاسية التي مرّت بها دولتي العراق وايران، وبسبب كثرة تنقلات الشيخ وهجراته، ومن المظنون أنّ اعظم تأليفاته كان في علم التفسير، وعلاوةً على رسوخه في التفسير الصوفي الإشاري الفيضي، فإنه كان راسخا أيضا في التفسير الظاهري، وقد استفاد من علوم بعض اساتذته الأعلام، وبالأخص العلامة الشيخ حسين السابلاغي المشهور بالعلم والوَرَع، فكان الشيخ يدوّن الملاحظات والتقريرات عن معاني السور إلى أن جمع تفسيرا مشتملا على نكاتٍ وحقائقَ ودقائق لبعض السور، وكان الشيخ يذكر في بعض مجالسه، أنه كان قد ألّف في تفسير سورة النجم، وسورة المزمل، سورة الحشر والضحي والشرح وغيرها.

ويذكر الملا عبداللطيف الباموكي أن كتاباته قد اتسمت بالطابع الصوفي العرفاني المقتبس من نور آيات الذكر الحكيم وبركات سنة سيد المرسلين ﷺ [2]،ثم يقول: «وبعد أن انتقل حضرة الشيخ محمد عثمان سراج الدين من بيارة إلى بغداد، وجد أن القسم الأعظم منها قد فقد ولم يبق إلا تفسير سورة التين وبعض الأشعار»[3]. فمن مؤلفاته المطبوعة :

(١) ينظر: مجلة متبعوا الطريقة في العدد ١٣ـ١٤ صفحة:٣٠ـ٣٨.

(٢) ينظر: تفسير سورة التين، للشيخ محمد عثمان سراج الدين، المقدمة، للاستاذ عبداللطيف الباموكي، مطبعة بغداد، (د.ت) وقف لوجه الله تعالى. ص:٢.

(٣) المصدر السابق.

١- الشهب الثاقبة [١].كتابٌ نفيس، طبع عدة مرات، يتراوح صفحاته من ٦٠ـ٧٠ صفحة حسب حجم الخط، ويتميز مثل باقي كتبه وتأليفاته بـ: جزالة الالفاظ وقوة العبارة وكثرة المعاني.

أما موضوعه: فإنه يحتوي على مواضيع هامة في علم العقيدة، مثل جواز الاستغاثة من الأنبياء والأولياء والتوسل بهم والاستمداد منهم، ووقوع الكرامات على أيديهم في الحياة وبعد الممات، وتصرّفهم في قبورهم، وتقبيل اضرحتهم، ويقول في بداية كتابه: «إنّ المؤثر الحقيقي في الوجود وفي الكون هو الله سبحانه وتعالى، ولا خالق لشيء سواه».[٢]...الخ. ويتحدث عن سبب تسميته لهذا الكتاب بهذا الاسم فيقول:..» كتبنا أوراقاً هي شهبٌ ثاقبة، ونيازك راجمة لشياطين شبهات الظنون والأوهام، جذباَ لطبع القاصرين الجهلة وتذكرة لذهن الذاكرين...»[٣].

٢- تفسير سورة التين. كتاب قيّم يشهد له العلماء والاعلام، وربما لا يقِدّره كما ينبغي الا أهله، ولا يفهم فحواه وما يرمي اليهِ الا اهل الله، وكونه تفسيرا صوفياً فيضياً اشارياً أكثر من أن يكون تفسيرا ظاهرياً جعل لا يفهم معناه اهل الظاهر الا القليل منهم وبصعوبة، فبالرغم من كونه كرّاساً صغيرا لا يتجاور (٢٢) صفحة، ألا إن تعابيرهُ دقيقة، وعباراته واشاراته موجزة بليغة لا يفهم جلَّ مقاصده إلى أهل المقامات. وقد طبع عدة مرات ويوزَّع مجاناً لوجه الله تعالى[٤].

٣- سراج القلوب: هذا الكتاب القيم يعتبر من أجمل وأشمل مؤلفات الشيخ الباقية المطبوعة المتداولة، وقد طبع في حياته مرتين، المرة الأولي طبع عام: ١٩٩٠م في بغداد، دار الأنبار في (٢٥٥) صفحة، (١٢٤) صفحة منه لكتاب سراج القلوب، وطبع بعده كتاب (الشّهُب الثاقبة) في (٤٨) صفحة، ثم أضيفت عدة رسائل مهمة للشيخ سراج الدين وآبائه ولبعض مريديه من العلماء الأعلام في (٦٤) صفحة، ثم أضافوا ملحقاً بالكتاب، كتبه الاستاذ ملا عبداللطيف مولود الباموكي، ذكر فيه معلوماتٍ تخصّ عائلة الشيخ بعدما أجازه بذلك، حيث ذكر ملخصاً عن مناقب آبائه المشايخ وكراماتهم، وتحدث عن زوجات الشيخ واولاده، وعرّف بِكُتّابه ووكلائه وخُدّامه، غالب تلك الزيادات كانت في الطبعة الثانية، طبعة اسطنبول عام: ١٩٩٥م.

(١) وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الكوردية من قبل الأخ بختيار النركسه جاري، باسم «تيشكه برنده كان»وطبع في نهاية كتاب جوهر الحقيقة في الجزء الثاني في ٦٠ صفحة.

(٢) ينظر: الشهب الثاقبة، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي ، مطبعة الحوادث. بغداد ، سنة الطبع: ١٩٩١ م, ص:٥

(٣) المصدر السابق ، ص:٦.

(٤) لرؤيه محتوي الكتاب من حقائق ودقائق ومعاني واشارات صوفية، ينظر: ، تفسير سورة التين، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي مطبعة بغداد، (د.ت) وقف. وطبعت أيضا في بداية سراج القلوب.

وقد كتب علامة العراق ـ الشيخ عبدالكريم المدرس - تقريضا على هذا الكتاب جاء فيه:

«فسراج القلوب: كتاب يشهدُه المقربون، هدية إلى المعذبين اللاهثين وراء سراب السعادة بغير الدين، والتقدّم بغير الاخلاق، والحضارة بدون التاريخ، والثقافة بدون التّراث، والسلام بغير النظام، فهو شفاء لما في الصدور، وجلاء لصدأ القلوب، فحين يقتبس السراج نور الشمعة ، فكلّ من رآه رأى الشمعة يقينا، ولو انتقل النور على هذا النحو مائة سراج، فرؤية آخر سراج ملاقاة للأصل. رحم الله عبداً سمع فوعى، ودُعيَ إلى رشادٍ فدنا، وأخذ بحجزة هادٍ فنجا، راقب رَبّهُ وخاف ذنبه، قدّم خالصا، وعمل صالحاً، اكتسب مذخورا، واجتنب محذوراً، ورمى غَرضاً، واحرز عرضاً، كابر هواه، وكذّب مناه، جعل الصبر مطية نجاته، والتقوى عدة وفاته، ركب الطريقة الغرّاء ولزم المحجة البيضاء، اغتنم المهل وبادر الأجل وتزوّد من العمل، وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين»[1].

٤- الديوان. ترك الشيخ سراج الدين ديوانين مطبوعين يتضمن ما أمكن جمعه من القصائد والأبيات الشعرية، يسمى الديوان الأول منهما بـ «جه بكي كول له كولزاري عوثماني» أي: «باقة وردة من الحديقة العثمانية»، اعداد وتقديم: الأستاذ عبدالله مصطفى صالح الفنايي، طبع مرّتين، الاولى منها في بغداد، سنة ١٩٩١م. في مطبعة الحوادث، والثانية كانت عام: ١٩٩٢م طبع في ٢٥٤ صفحة، ويحتوي هذا الديوان على جملةٍ من أشعاره التي كتبها باللغة الكوردية، باللهجتين السورانية الهورامّية وباللغة الفارسية.

أما القسم الكوردي بلهجتيه السورانية والهورامية، فقد أخذ ١٨٤ صفحة ، يحتوي على قصائد في مدح الرسول ﷺ، وفي وصفِ بيارة مركز العلم والتصوف، وكتب أبياتاً في مدح والده الماجد، وجواباً لأخيه الشيخ مولانا خالد، وقصدية يمدح فيها علامة العراق الشيخ عبدالكريم المدرّس،وكتب جوابا لأخيه الشيخ أمين، وللشيخ أحمد الشاكلي، وللأستاذ القاضي، وغيرهم[2].

وأما القسم الفارسي فقد أخذ ٦٨ صفحة من الكتاب، يحتوي على قصائد كثيرة منها ما كتبها في مدح القطب الأعظم الشيخ الجيلاني، وكتب مدحاً الشيخ عثمان سراج الدين الاول، وكتب لأخيه الشيخ مولانا خالد، وكتب ابياتاً في مدح سيدنا حضرة أويس القرني..وغير ذلك[3].

واما الديوان الثاني : ـ ديواني حه زره تي شيخ محمد عثمان سراج الدين نه قشبه ندي، أي: ديوان حضرة الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي، طبع في اسطنبول عام :١٩٩٥، في: ١٢٥صفحة،

(١) سراج القلوب، الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي ، ص:٢٩.

(٢) ينظر: الديوان ، جه بكي كول له كولزاري عوثماني، «باقة وردة من الحديقة العثمانية « للشيخ محمد عثمان سراج الدين، ط، ١، بغداد، سنة ١٩٩١م. مطبعة الحوادث، وط:٢ ، لسنة: ١٩٩٢، في :٢٥٤ صفحة.

(٣) لرؤية محتوياتها القسم الفارسي منها ينظر: المصدر السابق.

أعده باللغة الكوردية والفارسية، الأستاذ عبدالله مصطفي صالح (فنايي).

ب ـ الشخصية الصوفية للشيخ سراج الدين عند العارفين والعلماء والأدباء.

كان الشيخ سراج الدين جذاباً للقلوب وكلُّ من يتعرّف عليه يستولي حبه على قلبه، ولا يمكنه مفارقته؛ لأنه كان يرى منه بشاشة الوجه وطيب الكلام والكرامات الباهرة والعلوم النافعة والخدمات الجليلة، ولقد شهد العلماء بشخصيته الكبيرة، فمن تلك الشهادات:

أولا: العلّامة المِفضال التَّقيّ الوَرِع الحاج الملا عبدُالله (البَسْوىٰ)(رحمه الله):

كانَ الأستاذ الحاج الملا عبدُالله (البَسْوىٰ) (أعلَى اللهُ مَقامَهُ)، خليفة للشيخ عمر ضِياءُ الدِّين، وبعدَه للشيخ نجم الدين، ثمّ للشيخ علاء الدين، قال في آخرِ لِقائهِ بالشَّيخِ سراج الدين في مدينة (بانه) معرباً عن استفادَته مَعنوياً من الشيخ مدلّياً بِشَهادَتهِ أَمامَهم فقال: إنَّ لَديَّ شَهادَةً وما أَظنُّ أَن أَكذِب، إنّي أَرَى مِن أَرواحِ الأَولياءِ جَمْعاً حولَ هذا الشَّيخ العَظيم ابن حَضرَةِ الشَّيخِ علاءالدين، وإنّي أَجِدُ نِسبَة حَضرَة ضِياءُالدِّين فيهِ أَكثَر مِمَّا وَجَدناها مِن أَبيهِ حَضرَة علاءالدِّين، وأَعتَقِدُ بأَنَّني لا أَراكُم بَعد، ثُمَّ ودَّعَهُم، وكان كما تنبأ، فقد تُوفِّيَ (رحمه الله) بَعدَ رُجوعِهِ بأَشهُرٍ قَليلَة [1]. ولَمَّا تمَسَّكَ بِالشيخ عمر ضِياءالدِّين قال الشيخ في صُبحِ تلك اللَيلَةِ: لقَد هنَّأَني هذهِ اللَّيلَة ثلاثُمائَة مِن كِبارِ الأَولياءِ، بِسَبَبِ تَمسُّكِ الحاج الملا عبدالله بالطريقة لديّ[2].

ثانياً: شهادة العلامة الأستاذ ملا باقر البالكي المريواني[3].

يقول العلامة البالكي(أعلى الله مقامه):» تشرفت بحضرة النبي المصطفى ﷺ في هذا الشهر المبارك ـ شهر رمضان ـ (٨٠) ثمانين مرَّةً، أوصاني في كلّ مرة بأنه يجب ترويج الطريقة وبإرشاد عثمان (سراج الدين)»[4]. شهادة هذا العالم المتبحّر ليست قليلة، حيث كان له تأليفات نفيسة تدل على رسوخه في العلوم الظاهرة والباطنة، منها: «الدّرر الجلالية» وقد شرحه بنفسه في مجلدين وسماه: بـ «الألطاف الإلهية شرح الدرر الجلالية» يربو على الف صفحة، وكذلك كتابه: «حقيقة البشر»(دراسة فلسفية كلامية عرفانية

(١) ينظر: كأس الشاربين، ملا أحمد القاضي البينجويني، مخطوطة، مكتوبة بخط المؤلف، رقم اللوحة :٦٥.

(٢) ينظر:خلوة السالكين، الشيخ محسن المفتي،١:٣٥٢.

(٣) العلامة البالكي الملا باقر، كان من أعيان العلماء ومن نوابغ العصر، كان مدرّساً في قرية بالك التابعة لقضاء مريوان الإيرانية بأمر مرشده تخرج على يده كثير من الأعلام، كفاه فضلاً قول الشيخ سراج الدين في وصفه :» الأستاذ ملا باقر البالكي كان شافعيَّ زمانه» ، ينظر: جوهر الحقيقة، للشيخ المفتي ١: ٢٣٥.

(٤) ينظر: جوهر الحقيقة ، للشيخ محسن المفتي. ٦:١٨٨.

عميقة حول الإنسان جسماً ونفساً وروحاً) وهو كتاب محقق في(٧٨٧) صفحة، مدحه مرشده بقوله : «ترك لنا المرحوم الملا باقر نفائس كثيرة، من تآليف في الفقه والتفسير وعلم الحكمة والكلام والتوحيد والتصوف، ولو لم يكن له الا هذا الكتاب «الدرر الجلالية» لكفاه شاهدا حقاً على تبحره وعمق معرفته وطول باعه وزيادة فضله وحسن طريقته وعقيدته[١]، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل الا أهل الفضل.

ثالثاَ: شهادة علامة العراق سماحة الشيخ عبدالكريم المدرِّس (ت: ٢٠٠٥ م)[٢].

نذكر حدثاً يتبيّن من خلاله رأي الشيخ المدرّس في شخصيَّتهِ الصُّوفية:

كان الشيخ عبد القادر القسلاني(رحمه الله) زميل دراسة العلاّمة الشيخ عبدالكريم المدرس (رحمه الله) وكان من أقرب المقربين إليه، ففي زيارة له خاطبَ الشيخَ قائلا: ملا كريم، كيف ترى هذا الشيخ؟ أي: الشيخ سراج الدين، كيف تفهمه وتقيّمه وماذا تعرف عن مقامه؟ قال: ملا قادر.. لو أعطيتَ هذا التفسير لأحد من عوامِ الناس ليرى ما فيه من علوم، . وكان بيده تفسير الفخر الرازي . تُرى ما الذي يرجى أن يستخرج منه وهو لا يفهم ما فيه؟ يقول: فقلت: لا يمكنه.. لا شيء، فقال الشيخ المدرس: ملا قادر، فاعلم أن الشيخ عثمان هو هذا الكتاب، وأنا ذلك العامي.. فأنّى يتأتى لي معرفة مقام الشيخ عثمان؟ فإنه أعلى بكثير مما يصل إليه إدراكي[٣].

وقد مدح الشيخ المدرس جناب الشيخ محمد عثمان سراج الدين بقصيدة جاء فيها:

يـا نـامـيـاً فـي دوحـة الاحـسـان ... وحـامـيـاً لـلـوحـة الـعـرفـان
ومـن يـشـيـره عـلـى الـبـنـان ... مـن حـيـث ذا قـد فـاق فـي الـزمـان
نـفـسـي أنـا فـي شـأنـكـم ذو حيلة ... عـلـيـلـة عـلـيـلـة عـلـيـلـة
أعـداء أقـداركـم الـجـلـيـلـة ... ذلـيـلـة ذلـيـلـة ذلـيـلـة

(١) الالطاف الإلهية شرح الدرر الجلالية، للعلامة الاستاذ الملا محمد باقر البالكي، كتبه خالد رفعت الفقيه، مطبعة اسطنبول، ١٩٩٤م ،١: ٦ ـ ٧.

(٢) هوالشيخ عبد الكريم بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد المدرس، من عشيرة القاضي، ولد في قرية (تكية) بمحافظة السليمانية عام:١٩٠١، وبدأ بتعلم القرآن الكريم وعلومه في سن مبكرة ونال الإجازة العلمية سنة ١٩٢٥ من الشيخ عمر القره داغي. دخل مدرسة (خانقاه دورود) في إدارة مرشده الروحي الشيخ علاء الدين النقشبندي، وعمل مدرسا في مدرستها حتى سنة:١٩٥١م، فعلى نجمه واشتهر، وظل يواصل التدريس والإفتاء حتى وفاته، وتولى رئآسة الإفتاء ورآسة رابطة العلماء الإسلامي، نال الاجازة العلمية على يديه المئات من العلماء، وتتلمذ عليه كثير من الطلاب من البلدان الاسلامية، وله ٨٤ من المؤلفات المطبوعة، وعشرات المؤلفات المخطوطة، توفي في: ٢٠٠٥/٨/٢٥.ينظر: تأريخ علماء الكورد، للشيخ طاهر بن ملا عبدالله البحركي، مطبعة آراس ـ أربيل ، سنة الطبع ٢٠١٠، عدد الاجزاء ٣، ٢: ٢٦٦ ـ ٢٧٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق. ١١: ١٢٤.

أســألــكــم مــســألــة جـلـيـلـة تــكــون لــي وســيــلــةً وســيــلــة
ونـفـس أهـل الـصـدق فـي صـدقـي لـكـم وكــيــلــة وكــيــلــة وكــيــلــة
وخــتــم ســؤلــتــي بـــدون حـيـلـة دعــوا دوامــكــم مــع الـجـمـيـلـة [1].

رابعاً: الشيخ محسن المفتي، رئيس إتحاد علماء الدين الإسلامي سابقاً[2].

الشيخ بن الشيخ خالد المفتي يصف الشيخ سراج الدين في احدى مقالاته ويقول:

«لقد جمع الله الصفات النبيلة والخصال الحميدة، واللياقة البدنية ووفرة العلم، ونقاوة البيان وحلاوة الكلام، وعذوبة المنطق وبلاغة اللسان، وصباحة الوجه، وجمال المنظر، وشرافة النَّسب وطهارة الحسب، وصفاء القلب ونقاء الباطن، وعلو الهمة وصدارة المجلس، وسخاوة الطبع، وفصاحة النطق، وطول العمر، والنشأة في موطن الآباء، ونجابة الأبناء، ومنبع الصفاء، والأجداد العظام، وعرائن الأسود، والوالد الماجد، والأمّ الحنونة الطيّبة الطاهرة، الرابعة الثانية، التقيّة الوارعة، وفي كنف التقوى وزادِ الايمانِ ونقاوة المنطقةِ، وروضةِ خانقاه بيارةَ الشريفة، نشأ وترعرع وتسامى وتهلّل وجهه الشريف، واشرقت صباحة شروق شمسه الساطع في سماء بلاد أهل الصدق والإخلاص»[3].

(١) ديواني ئه حسه ن(ديوان أحسن)، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي من منشورات أهل السنة والجماعة ، أتباع النقشبندية، العدد:٤٥، ط:٢، أربيل ، لسنة :٢٠١٨ م. ص:٤٤٣ـ٤٤٤.

(٢) الشيخ محسن هو بن الشيخ خالد بن الشيخ مصطفي المفتي بن الشبخ محمود القاضي بن الشيخ عبدالله الخرباني . استاذ مولانا خالد النقشبندي ـ ،ولد عام ١٩٦٠م، الاديب الشاعر صاحب تأليفات نافعة، ترجم وشرح كتاب احياء الغزالي في ١١ مجلداً طبع من مؤلفاته ٢٣ تأليفا ،كتب عن سيرة النقشبندين ١٦ مجلداً، وله ديوان شعري ضخم باللغتين الكوردية والعربية. كان رأيسا لأتحاد العلماء الاسلامي في كوردستان العراق وعضوا للبرلمان، بنى مدرسة وجامعاً، وهو الآن يدير الجامع والمدرسة ويتخرج طلاب العلم لديه.ينظر: بيري نوراني، زياني داناو زاناي ره بباني حه زره تى شيخ عبدالله ي خه ر باني، (الشيخ النوراني ، حياة وحكمة العالم الرّباني حضرة الشيخ عبدالله الخرباني)، للشيخ محسن المفتي، مطبعة روزهه لات، لسنة:١٤٤٥ـ ٢٠٢٣،ص:٣٩٨ـ ٢٩٩.

(٣) مجلة الطريقة، مجلة تربوية تصوفية، تصدرها أهل السنّة والجماعة، أتباع النقشبندية، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الثاني ١٤٢٩، للهجرة، أيار ٢٠٠٨ للميلاد، ص:٦١.

المبحث الثاني

سلوك الشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي وفهمه للتّصوّف

المطلب الأول: دخول الشيخ محمد عثمان سراج الدين في السلوك والرياضة الروحية بدايةَ أمرهِ وشَبابه.

سرعان ما شرع الشيخ عثمان وبدأ في طفولته بالتمسك بآداب الطريقة النقشبندية والسير والسلوك على منهاج آبائه المشايخ ، فيتحدث بنفسه عن سلوكه وبداية أمره قائلاً: « وفي آداب الطريقة لما رأي والدي الماجد (قدس سرّه) مني استعداداً ورَغبة للسيرِ والسلوك في طريق التصوف. وهو الطريق المؤدي إلى الحب الالهي . حيث كنتُ أُشارك الختم وحلق الذّكر وعمري فوق الخامسة، وما تركنا الحضور في الختم وحلق الذكر كل غَداةٍ وعشيّة، وإنَّ والدي لقنني آداب الطريقة، فزادت رغبتي في الرياضة والتنسك، وأتذكر أني من أثر توجُّهاتِ والدي (قدس سرّه)، رأيت عجائِبَ وغرائِبَ لا يسعها كتاب، وأذكر على وجه التبرّك: «أنه جاء اليَّ مرّة ولم يجلس، فنفخ في وجهي وكنت جالساً فارتفعت من الأرض قدراً ووقعت عليها»[1].

ومع توجهات والده - الشيخ محمد علاء الدين (قدس سره) - كان الشيخ محمد عثمان مشغولا بالمجاهدات الشاقة والرّياضة والسلوك، ومن المظنون أنّ مجردّ توجُّهِ المرشد لا يدوم وقد لا يستفاد منه كثيراً ما لم يكن مقرونا بالمجاهدةِ والرياضة النفسيّة من قِبَل المريد، لذلك يقول الشيخ سراج الدين : «وتوجه عليَّ مرة فصرتُ شخصين لا أميّز الأصل ومثاله، فاشتغلت بالرّياضة والسّلوك على أثر توجهاته إليَّ، فما أكلت بعد ذلك إلا الخبز والماء سنة كاملة، وأو صلت السير والسلوك حسب أوامر مرشدي» [2].

ولقد إعتاد الشيخ المرحوم منذ صباه على المجاهدة وخشونة الحياة، فمن مجاهداته وسلوكه: ما يُحكى أنه جاء وفد من العلماء من إحدى الدول المجاورة إلى الشيخ محمد علاء الدين، وبعد أن أمضوا عدة أيام في خدمته قالوا له نحن نترخص منكم ولكن أحببنا التعرّف على ابنكم الشيخ عثمان أكثر حقاً لقد رأينا فيه صفاتاً سنية وأخلاقاً حميدةً ؛ ولكن مازال الشّك يُراودُنا بشأن زهده وتصوّفه وسلوكه في ثلاثة مسائل: قال الشيخ علاء الدين: وماهي تلك المسائل؟ قالوا :

(١) الشيخ محمد عثمان ، سراج القلوب، ص:١٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٦.

أولا: إنّه يخالط الأغنياء والرؤساء وأهل الدنيا. **ثانياً**: يلبس اللباس الجديدة والجميلة والغالية.

ثالثاً: لانراه بالظاهر يشتغل كثيراً بالعبادة والمجاهدة. فقال الشيخ علاء الدين سأجيب عن اشكالاتكم الثلاثة: أما الإشكال الأول: فأنا ربّيت عثمان لآخر الزمان، فإن لم يخالط أهل الدنيا اليوم لا يستطيع أن يقوم بإرشادهم غداً. فلِكلّ زمانٍ رجاله.

وأما الثاني: فصحيح أنه يلبس الجديد، ولكنّي حسب ما أعلم إنّه يلبس تحت ملابسه الجديدة ملابس خشنة جداً، وقد عود نفسه عليها ؛ ولكن لا يحبُّ أن يَعرفَ أحدٌ بحاله مخافة الرّياء.

وأما الثالث : فبالنسبة للسلوك والعبادة، أذكر لكم شيئا واحداً، أنا أراقبه منذ عشرين سنة يقوم لوحده بعجن الطحين لخانقاه بيارة، فيبدأ من بعدِ صلاة العشاءِ وينتهي قبيل بزوغ الفجر، حيث يقوم بعجن ٢٠٠ إلى ٢٥٠ كيلو من الطحين بيديه، ولا يعلم بسلوكه هذا أحدٌ إلا الله [١].

ومما يشهد لذلك مايرويه الاستاذ الفنايي عن المِرزا أحمد قال: ذهبت في خدمة الشيخ عثمان بأمر والده ـ الشيخ محمد علاء الدين ـ إلى بغداد، فتأخّرنا في الطريق بسبب جواب أهل القرى، وبعدما وصلنا بقينا فيها إلى بعد رمضان، مكثنا خمسة أشهر، فوالله كان الشيخ عثمان يلبس تحت قميصه لباسا خَشنا، وكان صائما على الدوام ويخدم الناس وهو صائم[٢].

ويشهد على سلوكه مايرويه الاستاذ الملا محمد أمين الكاني ساناني قال: طلبنا من الشيخ الإمداد واللطف. فقال: المريدون لا يشتغلون بالكسب، سمعت أن منهم من قال :أن الشيخ عثمان لم يرتقي بسبب المجاهدة ولم يفعل شيئاً؛ بل وصل إلى الإرشاد بسبب توجهات والدهِ فقط !! أقول : ليس الأمر كما رأى، بل إني جاهدت كثيراً، وسأذكر شيئا منها حتى تستفيدوا.

أولا: لم آكل ولم أشرب شيئاً لمدة سنتين على التوالي. ثانياً: عندما ذهبت إلى خانقين كنت أصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء لمدةِ خمسةِ أشهر.ثالثاً: وفي شهر رمضان لم أكل شيئا حتى العشرين بالشهر منه ألا غرفة ماء في كل إفطار، وذلك حتى لا يكون الصوم صوم وصالٍ. رابعاً: كنت في خدمة والدي في بغداد لمدة ثلاثة أشهر، وكنت أعمل له المساج بيديّ من ظهره إلى قدميه المباركتين ليلاً حتى الساعة السادسة صباحاًلأخفف عنه الوجع فيقدر على النوم، وبغد ذلك كنت أقومُ واقفا في خدمته إلى الصباح أنتظر منه البركة، وعدا ماذكرت كانت عندي مجاهدات أخرى لا أحب ذكرها، وما مرّ عليَّ يومٌ إلا وقد جاهدتُ فيه[٣].

---

(١) ينظر: الشيخ المفتي، جوهر الحقيقة ، ١: ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ١:٢٣١.

(٣) ينظر: باخجه ي بونخوشان، (روض الرياحين) للاستاذ ملا أحمد القاضي، ص: ٦٦٦ ـ ٦٦٧.

وقد يقول سائل إن هذه الرياضة هي بدعة ومخالِفةٌ لنص القرآن، والدليل هو: إنَّ رجال التصوف يحرّمون ما أحل الله تعالى من أنواع اللذائذ، وقد قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..إلى آخر الآية}[١]. نعم في الظاهر هذا استدلال قوي؛ ولكن يجيب على هذا الاشكال الإمام الصوفي، الحكيم الترمذي فيقول: «هذا احتجاج تعنيف، ومن القول تحريف، لانّا لم نرد بهذا، التحريمَ؛ ولكنا أردنا تأديب النفس حتى تأخذ الأدب وتعلم كيف ينبغي أن تعمل، ألا ترى إلى قوله جلّ وعلا: {قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ..}[٢].

فالبغي في الشيء الحلال حرام، والفخر حرام، والمباهات حرام، والرّياء حرام، والسّرف حرام، وإنما أُوتِيَتِ النفسُ هذا المنعَ من أجل أنها مالت إلى هذه الأشياء بقلبها، حتى فسد القلبُ، فلمّا رأيت النفسَ تتناول زينة الله والطيبات من الرّزق تريدُ بذلك تغنّياً أو مباهاةٍ، أو رياءً، علمت أنها خلطت حراماً بحلال فَضيَّعتِ الشُّكرَ، وإنما رُزقت لتشكر لا لتكفر، فلمّا رأيت سوء أدبها منعتها، حتى إذا ذلت وانقمعت، ورآني ربي مجاهدا في ذاته حقَّ جهادهِ هداني سبيله كما وعد الله تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمعَ المحسنين}[٣]، فصرتُ بالمجاهدةِ محسناً، فكان الله معي، ومن كان مع الله فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل، وقذف في القلب من النور نوراً عاجلا في دار الدنيا حتى يوصله إلى ثواب الآجِل، إذا قذف النور في قلب العبد[٤].

وقد صرح الإمام الصوفي الكبير ـ الامام الشعراني ـ (رحمه الله):» بجواز تلك الأنواع من الرياضات والمجاهدات فقال : «بلغنا أن سيدي عبدالقادر الجيلي(رضي الله وأرضاه) مكث أيام مجاهداته سنة كاملة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وكان رضي الله عنه يقول:

«دعوت نفسي مرّةً إلى قيام الليل فأبى، فمنعتها شرب الماء سنة»[٥].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية:٦٩.

(٤) أدب النفس، محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السَّايح، الدار المصرية اللبنانية، مصر، سنة الطبع، ١٤١٣هـ ، ص:٦٤،٦٥. وعبدالقادر عيسى ، حقائق عن التصوف : ط:٢ ، دار التقوي ، سنة:١٤٣٨هـ ، ٢٠١٧، ص،:١٠٨.

(٥) ينظر: المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق، لابي المواهب أحمد بن علي عبد الوهاب الشعراني (ت : ٩٧٣ هـ)، خرج احاديثه:سلم مصطفى البدري، دار الكتب العلمي، بيروت ـ لبنان ، محمد علي بيضون، المقدمة ، ص:٨٣.

إذاً عندما يحرّم المريدً على نفسه مأحل الله له من ملذات الدنيا، أو يمنعُه المرشد من الاستمتاع بملذّات الدنيا مما أحله الله تعالى لخلقه، الغرض من ذلك كله: تأديب النفس وتعليمها الخشونة في العيش، حتى يسهل على المريد ترك كل ما فيه شبهة الحرام والتزهد في الدنيا. وهذه الرياضة والسلوك مما داوم عليهما الشيخ سراج الدين، وبالأخص أيامَ مُجاهداتِه.

المطلب الثاني: أركان التصوف عند الشيخ سراج الدين وما يبتنى عليه هذا العلم.

أولا: الإخلاص في العمل والعبادة.

كان الشيخ الرّاحل مهتماً جداً بالإخلاص في العبادات ـ الفرائض والنوافل ـ ولزوم العلم بهِ، ومهتما كذلك بوجوب الابتعاد عن المحرمات والمكروهات، فهذه الأمور من أبجديات أخذ البيعة والتمسك بالطريقة، فإذا اجتاز المريد هذه الإمتحانات وعمِلَ بما يعلم من الأوامر والنواهي وبإخلاص، يُأمر حينئذٍ بالسّلوك في آداب الطريقة شيئاً فشيئاُ حسب طاقته. فمن وصاياه ما جاء في رسالة له: « نوصيكُم بالتَّشميرِ عَن ساقِ الجدِّ للسَّعيِ في إقامةِ أَحكامِ الدِّينِ مِنَ الفَرائِضِ والنَّوافلِ، والإجتِنابِ عَنِ المَنهِيَّاتِ إطاعةً للهِ الخالقِ للبريَّاتِ، الرَّزَّاقِ الحافِظِ الكَريم، لِحُسنِ الإعتِقادِ والإخلاصِ، وبالإحسانِ: بأَنْ تَعبُدوا ربَّكُم فإنْ لَم تَكُونوا تَروهُ فإنَّهُ يَراكُم»[1].

ومن وصاياه للمنتسبين في العراق: «فانظروا إلى إخلاص العمل لله وحده وإلى تصفية النفس من حظ النفس لتفوزوا فوزا عظيماً، وكما قيل: كن ترابا قبل أن تصبح تحت التراب»[2].

ثم نبّه إلى أنّ الوصول إلى مرتبة الإخلاص بدأً بفعل المأمورات وترك المنهيات لا يمكن إلا بواسطة السلوك في طريق القوم فقال: «لايَحصُلُ الإخلاصُ، ولا الإحسانُ بِهذا المَعنَى إلاَّ بالسُّلوكِ في الطَّرائِقِ العليَّة التي سلَكَ فيها السلَفُ الصالِحُ في عَصرِ السَّعادَة إلى زَمانِنا هذا، ولهذا قيلَ: الطُّرقُ إلى اللهِ بِعَددِ أَنفاسِ الخَلائقِ، وبالخُصوصِ مِن بينِها الطَّريقة العليَّة النَّقشبَندِيَّة، فإنَّها أَقرَبُ الطُّرُقِ إلى اللهِ بالإجماعِ وبِما عليهِ أَكثَرُ العُلَماءِ مبنيَّةٌ علَى كمالِ المُتابَعَةِ لسيِّدِنا ومولانا ومُقتَدانا مُحَمَّد ﷺ وأَصحابِهِ الطَاهِرين»[3].

ثانياً : رابطة المرشد :

من أركان هذه الطريقة عند الشيخ هو رابطة المرشد، فكان على المريدين جميعاً الإلتزام بها، وهي من أركان الختمة النقشبندية، ولا توجد الرابطة في الطريقة القادرية؛ ولكن بعد وفاة المرشد قد اتفق

(١) الشيخ محسن المفتي، جوهر الحقيقة ،٨ :٤٣

(٢) الشيخ محسن المفتي، جوهر الحقيقة. ١١ : ٣١٥.

(٣) المصدر السابق/٨: ٤٤.

الأولياء ومشايخ النقشبندية على عدم جواز الرابطة إلا لمن وصل إلى مقام المراقبة ، ولم يجوزوه للمبتدء كما صرح بذلك الاستاذ الفنايي في كتابه [١]. ورابطة المرشد هو إحضار روح المرشد، فروح المرشد هو مركز الفيوضات الإلهية بواسطة حضرة الرّسول ﷺ، والتجليات الإلهية تُصَب من قبل الله تعالى إلى قلب الرسول ﷺ مثل بحر كبير لا ساحل له، فقلب المؤمن عرش الرحمن فكيف بقلب الحبيب المصطفى ﷺ، ومنه تنزل إلى قلب المرشد كنهرٍ جارٍ طاهر، والمريد ينتظر نزول هذه الواردات من قلب مرشده ويفتح له قلبه، ويستفيد كلٌ حسب سعة قلبه[٢].

وأما (مراقبة الرابطة) أو (مقام البصيرة) فهو: أن يصل المريد إلى رتبة يُبدّل له المرشد درسه ،فينشرح صدره وينكشف له الأمور بحيث يميّز بين الحسن والقبيح ولها علامات يعرفها المرشد أومن وصل إليها من السالكين الواصلين[٣]، فلا بُدَّ لهذا المريد حينئذٍ أن بسأل مرشده عما يبدوا ويظهر له حتى يعرف هل وصل إلى مقام المراقبة أو لا، فإن كان غير واصلٍ إلى هذا المقام فلا يجوز له الاستمرار على رابطة المرشد، وذلك حذراً من تلاعب الشيطان به، لأن درأ المفاسد أولى من جلب المصالح[٤]، ولحديث: ((دَعْ ما يُريبك إلى ما لا يُريبك))[٥]، ولابد للمريد أن يقيَ نفسهُ من كلّ ما فيه شبهة الحرام، ولذلك منع مشايخ الطريقة النقشبندية السالك من عمل الرابطة بعد وفاة مرشده [٦]، ولكنهم أجازوا له ذلك بشرط وصوله إلى مقام: (مراقبة الرابطة)، أو مقام: (تجرّد الرّوح)، بحيث يستطيع أن يلتقي بالأرواح ويتكلم معهم، فيسألهم ويأخذ جواب إشكالاته منهم، ويعلم حقيقةً أن ما يراه هو حقاً روح مرشده وليس بالجِنّ والشياطين، فلا ينبغي للسالك أن يتخيّل بأن الشيطان لا يقدر على ذلك حتى وإن كان مرشده كاملا، فقد أعطى الله الشيطان قوة عجيبة بنص القرآن، ولولا عناية الله لرسوله لمزّج إبليس كلامه بالوحي الإلهي[٧]، ويعتبر الإمام

---

(١) ينظر: به لكه نامه بؤ رونكردنه وه ي هه نديد له ئادابي ته صووف.(الأدلة ، في تبيين بعض من آداب التصوف)، الاستاذ عبدالله مصطفي صالح الفنايي، سنة الطبع: ١٩٩٧أربيل، ص:٦ ـ ٢٠. وفيه التفاصيل.

(٢) ينظر: الشيخ محسن المفتي، جوهر الحقيقة،٢: ٣١٦.

(٣) ينظر: عبدالله مصطفي صالح الفنايي، به لكه نامة (الأدلة)، ص:٨.

(٤) قاعدة درأ المفاسد أولى من جلب المصالح هي: قاعدة أصولية تنحدر تحتها مسائل كثيرة، ينظر: الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن السبكي (ت:٧٧١ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع: ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٢ ، ١: ١٠٥.

(٥) مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، ٢: ٣٤٥.

(٦) المصدر السابق نفسه.ص: ٨ ـ ٩.

(٧) روى الطبراني بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِمَكَّةَ، فَقَرَأَ سُورَةَ وَالنَّجْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}[النجم:١٩] فَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى الشَّفَاعَةُ مِنْهُمْ تُرْتَجَى. قَالَ: فَسَمِعَ بِذَلِكَ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ فَسُرُّوا بِذَلِكَ، فَاشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى

الرّباني هذا أكبر دليلٍ على وجوب حذر السالك من كيد الشيطان وتلاعباته[١].

ثالثا: الصحبة. أحد أركان هذه الطريقة هو الصحبة، وتعني ذلك: صحبة المرشد الكامل،

وصحبة الصالحين. ليس فقط عند الشيخ سراج الدين؛ بل إنّ مشايخ النقشبندية كلهم يرون لزوم الصحبة وأنها من أهم الأركان، وكذلك جُلّ مشايخ الطرُقِ الأخرى يرون ضرورتها للسالك ويعدّنها ركناً، عَملاً بالآية الكريمة: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[٢]. هنا ننقل ما اشتهر عن رئيس الطريقة النقشبندية ـ الشيخ محمد بهاء الدين ـ (ت: ٧٩١هـ) بهذا الشأن حيث يقول: «طريقت ما سَراسَر صحبت است، صحبت دَر جَمْعيَتْ، جَمعيَت دَر ألفَت، صُحبَت دَرْ هم دكر فناشدن»[٣]. أي: أن طريقِتنا كُلّها صحبت، والصحبت لجمع شخصين أو أكثر، واجتماع شخصين أو أكثر الهدف منه وجود محبة قلبية بينهما أو بينهم، وأنما يستفاد من هذه المحبة إذا وصلت إلى درجةِ الفناء، أي: عطف ومحبة الشيخ لمريده، والأخلاص القلبي والمحبة الصادقة من المريد للشيخ، والتي تسمى بـ (الفناء في الشيخ).

فالذي يهمنا هنا هو الصحبة وضرورتها في الطريقة، ومعلوم أن لزوم الصحبة ليس من أركان الطريقة فحسب، بل هو منهج الصحابة الكرام، وإنّما تسمّوا بها لصحبتهم لسيد الخلق ﷺ، ومن المعلوم أن سيدنا أويس القرني بالرّغم من علو مقامه ألا أنه بقي في رتبة التابعي ولم يرتقي أكثر، مع أنه قد عاش في زمن الحبيب ودخل بيته وشرب من مائهم كما هو ثابت في السيرة، ولكن شاء الله أن لا يلتقي بخدمة الحبيب ﷺ.

يقول الاستاذ الفنايي: إن مشايخ النقشبنديّة كلهم متفقون على أن آداب ومنهج هذه الطريقة هو نفس آداب ومنهج الصحابة الكرام، وأنّ القسم الأعظم من ترقّي السالك وتقدمه يكون عن طريق الجاذبة والإنعكاس، وعن طريق الصحبة الظاهرة، ومن المعلوم أنّ الصحبة تكون للمرشد الحي لا الميّت، كما صرح الإمام الرباني بذلك في مكتوباته[٤].ولسنا بحاجة إلى تفصيل أكثر.

الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج: ٥٢])). ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، نشر سنة، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠. برقم:١١٣٧٦، ٧: ١١٥.

(١) ينظر: به لكه نامة (الأدلة)، عبدالله مصطفي صالح الفنايي، ص:٩.

(٢) سورة التوبة ، الآية:١١٩.

(٣) ينظر: الأدلة، للاستاذ عبدالله الفنايي، ص: ١٢.

(٤) المصدر السابق،ص : ٩ ـ ١٠.

رابعاً: الذكر القلبي، وأقامة مجالس الذكر للنقشبندية المسمى بـ «الختمة الشريفة».

كان الشيخ المرحوم يهتمُّ بالذكرالقلبي والمداومة عليها، وبإقامة الختمة الشريفة، ويُلحّ على لزوم إقامتها وعدم تركها في السراء والضرّاء، وكأنها ركن ركين من أركان هذه الطريقة العلية. وكان (رحه الله) يوصي المريدين بالإلتزام بمجالس الذكر في الأسبوع مرّتين على الأقل.

عندما ضربت منطقة (زه رراين) بالمدافع طلبوا منه دعاء الحفظ والسلامة من الآفات أو الإذن بالمغادرة والإجلاء، فقال: ابقوا في أماكنكم وسأدعو لكم؛ ولكن التزموا بمجالس الذكر والختمة النقشبندية وسيزول البأس (إن شاء الله)، ففعلوا وزال القصف كما تنبأ سيادتهُ [١].

والختمة النقشبندية تبدأ بالصلاة على الرّسول الأكرم ﷺ ثمّ التفكّر في الموت مع مجموعة من الأذكار والأوراد، ومن ضمنها: الذكر القلبي، والذكر الجهري، ورابطة المرشد الحي، ومع قراءة بضعة آيات من القرأن الكريم، وإهداء الثواب إلى مشايخ الطريقة، بدأً بالحبيب ﷺ، ووصولا إلى مرشد العصر، ثم الختام بالدعاء. وكان للذكر القلبي ورابطة المرشد أوقاتاً آخرى حسب الإمكان، يواضب عليهما السالك من ليلٍ أو نهار.

خامساً: السَيرُ والسلوكُ والخلَوات.

القيام بالسلوك والعزلةِ والخلوات هو من مهام الصوفي وسبب ترقيته، ولا يرتقي المريد بالقيام بإظهار الخوارق، كأكل الزُجاج والضرب بالخناجر كما يفعله البعض من غير ضرورة.

ومن المعلوم أن الصوفي لابد أن يجتاز برزخ الخلوة، والخلوة كانت موجودة قديماً ولها أصل في السنة النبوية، حيث كان الحبيب ﷺ يتحنّث في غار الحراء ويختلي بنفسه، والأحاديث بهذا الشأن مستفيضة غيرُ مجهولة، ولقد تعلّم أهل السلوك تطبيق هذه السنة من النبيّ(ﷺ)، فمن البديهي أنه لا بد للواعظ أن يصلحَ نفسه بالسلوك والعزلة قبل أن يَعِظَ الآخرين، وذلك اقتداءً بالنبيّ المصطفى(ﷺ)، حتى لا يشمله العتاب والوعيد الإلهي القائل: {ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون} [٢].

قَالَ القشيري (رحمه الله) : «الخلوة صفةُ أهلِ الصّفوة، والعُزلة من أمارات الوصلة، ولابد للمريد فِي ابتداء حاله من العزلة عَن أبناء جنسه، ثُمَّ فِي نهايته من الخلوة لتحققه بِأنْسِهِ، ومن حق العبد إِذَا آثر العزلةَ أَن يعتقد باعتزاله عَنِ الخلق سلامة النَّاس من شرّه، ولا يقصد سلامته من شرِّ الخلق، فَإِن الأَوَّل من القسمين نتيجة استصغار نَفْسه، وَالثَّانِي شهود مزية عَلَى الخلق، ومن استصغر نَفْسه فَهُوَ متواضع، ومن

(١) مقابلة شخصية مع كاتب الشيخ، الاستاذ سيد غفور أحمد، خطيب بيارة ، بتأريخ: ٢٠٢٣/١١/١١.
(٢) سورة الصف، الآية:١ـ٣.

رأى لنفسه مزية عَلَى أحد فَهُوَ متكبر»[١].

قال الجنيد: من أراد أَن يسلمَ لَهُ دينُه ويستريح بدنُهُ وقلبُه فليعتزل النَّاس، فَإِن هَذَا زمانُ عُزلةٍ ووحدة. وقال مرة أخرى : فإن هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة [٢].

ولقد تحدّث الشيخ ذات ليلة في أواخر الثمانينات عن الخلوة وكيف يشعر المريد بلذة العبادة بحيث يستغني بالغذاء الرّوحي عن الأكل والشّربِ فقال: أمرنا حضرة الوالد بالخلوة مع أخي الشقيق مولانا خالد، فلبثنا أربعين يوماً في مكان ولم يتركوا لنا ما نقتات به ألا تمرة واحدة لكل يومٍ لكلٍّ منا، وبعد مضي أربعين يوماً، أنا أكلت التمرة؛ ولكن مولانا لم يأكل شيئاً [٣].

الحكمة من الخلوة هي التفرّغُ للعبادة والاستعانة على الذكر والمراقبة بمكان قفرٍ بعيد عن الناس، وذلك لبعده عن التشويش، ولأنّ السالك فيه أقرب إلى الفيوضات الرّبانية، أما العزلة فليست الحكمة منها الإبتعاد عن شرّ الناس رغم وجود هذه الميزة فيها؛ بل لابدّ من اعتزال الناس بنية عدمِ إذاءهم بسبب قسوته. ولا يُسمح للمريد بالخلوة والاعتزل الا بأمر مرشده، والمرشد لا يسمع بذلك ألا لمن قطع شوطا من العبادة وحصل على قسط من العلوم الشرعية. يقول الامام أبو قاسم القشيري: «من آداب العزلة أَن يحصل من العلوم مَا يصحح بِهِ عقد توحيده لكي لا يستهويه الشَّيْطَان بوساوسه ثُمَّ يحصل من علوم الشرع مَا يؤدي بِهِ فرضه ليكون بناء أمره عَلَى أساس محكم والعزلة فِي الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة» [٤].

وكانت خلَوات الشيخ واعتزاله للناس بإذنٍ من مرشده الرّوحي، ولم تكن من عند نفسه، وكانت بعد السلوك لسنين، وبعد حصوله على قصط كبير من العلوم الشريعة، كما أسلفنا.

فالذي يحتاجه أهل الطريق ويرتقي به هو السلوك والرياضة والخلوة، ولايحتاج إلى إظهار الخوارق، ولا يرتقي به، بل قد يضرّ به، خاصةً إن خالط عمله الرّياء وحب الشّهرة، لذلك كان الشيخ (رحمه الله) يربي مريديه على السلوك ولا يسمح لهم بإظهار الخوارق إلا للقلّة منهم، ولم يكن هذا السماح للنقشبنديين؛ بل كان لأتباعه من القادريين، فبدلاً من الإنشغال بإظهار الخوارق والكرامات، لابد من العمل على قطع

(١) الرسالة، للإمام القشيري. ١:٢٢٢.

(٢) تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرو، دار الفكر،عام النشر: ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس)،٢٠:١٧٧.

(٣) هذا ماسمعناه من حضرته ومن المقربين لديه، وحدثني الأخ فريد بن مصطفى الصوفي من قرية (كه ماله) في إيران بتأريخ: ٢٥ شعبان ١٤٤٤، بأن أخاه ـ الملا ناصر قد نذر على نفسه بأن يبقى في الخلوة أربعين يوماً لا يأكل كلّ ليلةٍ إلا تمرة واحدة، وقد وفا بنذرة؛ لكن لولا عناية الله وهمة مرشده لهلك.

(٤) الرسالة القشيرية، للامام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف (دار المعارف، القاهرة). ١:٢٣٣.

العقبات واجتياز المقامات لاجل الوصول الى الغايات، وذلك بصرف الجهد والهمة والعمل الدؤب والسير والسلوك وانجاز العمل بدون تأخير وتسويف عملا بقوله تعالى: {وقل اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[١]. وعملا بما روي عن النبيّ الأكرم ﷺ: ((هلك المسوّفون))[٢]، فكان الشيخ يقدّم المواعظ نَظما أو رسالة، فممّا نشرَ في ديوانه، ما كتبه للاستاذ ملا عبدالرّحمن المعنك باللغة الكوردية فقال:

يـه كـي لـه مـانـه طـه ي نـه كـه ي كـورم جـون ئـه بـي بـلـئيت مـن دانـه ي دورم

يذكر بعض مقامات الصوفي في الأبيات السابقة مثل: مراقبة الذات، والوصول إلى مقام سلطان الأذكار، أو القطبية أو الفناء التام، أو الولاية بالأصالة أو بالضمنية، ثم يقول : يابني، إذا لم تقم باجتياز إحدي هذه المقامات فليس لك أن تقول: أنا من خرزات الدرّ والجوهر[٣].

سادساً: الصِّدق.

الصدق ليس فقط من أركان التصوف؛ بل هو مربوط بقبول جميع أركان الإيمان والإسلام،

كما في حديث:((أفلح إن صدق))[٤]، لمن قال:((والله لا أزيد على هذا ولا أنقص)) [٥]، لمّا عُرِضَ عليه الإيمان والاسلام. وكان الشيخ يشجع مريديه على الصِّدق مع الله، ويُحذّرهم من خلط أعمالهم بالرّياء والأهواء، ويمنعهم من الصيحات والجذبات المصطنعة. ولا يسمح بذلك الا لمن لم يقدر على تمالك نفسه، وفد نصح بعض المريدين فقال: تمالكوا أنفسكم عند الجذبة قدر المستطاع، ولا تتبعوا حيل النفس ومكايد الشيطان، وابتعدوا عن الجذبات المصطنعة؛ لأن تلك الجذبات تضرّ بصاحبه، وتبردُ مجلس الذكر، وعلى العلماء وأصحاب الحلقات أن يُقدّموا الموعظة لهؤلاء بتمام الحكمة والدراية، ويمنعوهم من الجذَبات المصطنعة [٦].

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ١٠٥.

(٢) حديث: ((هَلَكَ الْمُسَوِّفُونَ)) وَضِدُّهُ، أَيْ: التَّسْوِيفِ (الْمُسَارَعَةُ وَالْمُبَادَرَةُ) وهِيَ: الْعَجَلَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْمُسَابَقَةُ إِلَى الطَّاعَةِ كَالصالحين، لم أجد الحديث ألا في كتب الرقائق ، ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، للامام محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (ت:١١٥٦هـ) مطبعة الحلبي، سنة الطبع: ١٣٤٨هـ،عدد الأجزاء: ٤، ٣: ٦٧.

(٣) ينظر: (باقة وردة من الحديقة العثمانية)، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي. ص: ٦٧.

(٤) ينظر: صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية : فيصل عيسى الحلبي - القاهرة - ، عدد الأجزاء: ٥ ، ١ :٤١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) أصل الرسالة مكتوبة باللغة الكوردية فتُرجمت. ينظر: الشيخ محسن المفتي، جوهر الحقيقة،١١: ٥٥.

سابعاً: الاستقامة.

مع أهمية الكرامات والخوارق ودلالتها على صدق السالك، ألا إنّ الكرامة لم تكن ركناً عند الشيخ، ولا شرطا من شروط السالك، بل كان يقول: الأهم هو الإستقامة، فهي أعظم كرامة.

وكان (رحمه الله) مع صدور كثير من الكرامات والخوارق على يديه، لا يعتبر الكرامة بغاية الأهمية، ولا يُحبّذ انشغال السالك بها خشية ضياع الأخلاص والإصابة بالغرور، ويعلّمُ المريدَ بأن تكون عباداته ومجاهداته خالصة لوجه الله تعالى لا لسبب آخر، ويمثل لهم ببعض الطيور والحشرات فيقول: الهُدهُد، يعرف المكان الصالح لحفر الآبار، القريب من الماء، والغراب، يشعر بوجود الجيَف على بُعد أميال، والنملة تشعر بوجود السكر والحلويات من مسافة بعيدة.، فلو كانت الخوارق شيئاً مهماً لما رزقت الطيور والحشرات والحيوانات شيئا منها؛ ولكنَّ الكرامة الحقيقية هي عبارة عن: الاستقامة على خط الشريعة والطريقة[١]، وكان الشيخ عبدالكريم المدرس ـ علامة ومفتي العراق ـ يرجح رأيه ويقول: «الإستقامة خيرُ كرامة»[٢].

ولم يكن من عادة الشيخ أن يتحدّث عن كراماته شيئاً، ولا يسمح لمريديه أن يذكروا شيئاً من الخوارق والكرامات وينسبوها إلى أنفسهم، وممّا كتبه إلى أحد المنتسبين لطريقته: « لا أنت ولا أصدقائك، لا ينبغي أن يكون لكم إدعاء، فلو كنت من الذين لهم إدّعاءات، حينئذ أقبل بإدعاء الناس، ولكني لم أدّع لنفسي شيئاً ولن أقبل من أحد الإدعاءات [٣].

فالتصوف هو إظهار الذّل والانكسار والخشوع لله والتواضع مع الناس والاستقامة على ذلك.

المطلب الثالث : فهم الشيخ سراج الدين للتصوف.

أ- فهم الشيخ للتصوف من الجانب العلمي.

تندرج تحت كلمة العلم عدة امور، كان الشيخ محمد عثمان يرى لزوم وجودها في الصوفي.

أولا: تعلّمُ عِلمِ الشّريعة:

كان الشيخ سراج الدين يسعى جاهدا لأن يهتمّ مريدوه بتعلم الشريعة الإسلامة والعلوم الضرورية مقتدين به وبالسلف الصالح، وذلك حتى يكون اعمال وعبادات المريد موافقا للكتاب والسنة، فكان الشيخ سراج الدين نفسه قد بدء حياته بتعلم العلوم الشرعية وهو ابن الخامسة من عمره كما اسلفنا،

(١) مقابلة شخصية مع الحاج أحمد عبدالله (ده لاك).بتأريخ:٢٠٢٣/٩/٢.

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ اسماعيل الديلمي بتأريخ: ٢٠٢٣/٧/٨.

(٣) ينظر: الشيخ محسن المفتي ، جوهر الحقيقة، ١١ : ٣٣١.

واستمر على تحصيل العلوم الشرعية حتى بلغ ما لا بأس به [١].

ثانياً: الاخلاص في النية في تعلم علم التصوف ونشره.

كان الشيخ (رحمه الله) يشجع المريد على حسن النيّة والإخلاص ويكتب لهم بذلك، ومن تلك الرّسائل جوابه لأحد العلماء وهذا نصُّهُ : « اعلم يا عزيزي أنَّ أساس طريقتنا العلية ومشربها هو نفس أساس ومشرب الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) أصلها الصّدق وفرعها الاخلاص، ولا ينالها الا أهل الاختصاص، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم،.بل هي سبيل الأنبياء ممن كان قبلنا {قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إلى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٢]، ومن مبادئها الأخذ بالعزيمةِ وترك الرُّخَص.. إلخ[٣].

وفي رسالة أخرى: فأعمالكم لله ودفاعٌ عن الطريقة النقشبندية وخِدمةٌ للشريعة الاسلامية، فعمّروا قلوبكم بالصفاء والإخلاص بدون قصد الزعامة والانانيّة والعُجبِ والانفراد بالرّأي[٤].

وكان يشجع مريديه على كسب الأخلاص، عملا بالأصلين، واقتداءً بمرشدهم وبالصالحين فيقول:» وأنا محضاً لرضاء الله قدّمت لكم هذه البيانيات خالصاً لله، بعيداً عن الرّياء وحظوظ النفس والاهواء، لذلك فبما أني قد قدمت لكم هذه ابيانيات والتبليغات بغاية الاخلاص وسلامة الصدر آمُلُ أن تسعها صدوركم، وأملي ورجائي بلطف الله هو أن تعملوا بها أن شاء الله،[٥]. وكان الشيخ يحذّر المريد من العمل لأجل الشهرة والرياء والمكابرة محذّرا من عاقبة ذلك،عملاً بقوله ﷺ : ((من تعلم العلم ليماري، به السفهاء، أو يكاثر به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوأ مقعده من النار))[٦]، فالخلاص في الإخلاص.

(١) ينظر: الشيخ محمد عثمان ، سراج القلوب، ص:١٠٤.١٠٥.

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٨.

(٣) الرسالة الجوابية على المسائل الشرعية في أمور الطريقة والمريدين ، للشيخ محمد عثمان سراج الدين مطبعة مهر، سنة الطبع: ١٣٧٢ هـ. ص: ٨.٩.

(٤) هذه الرسالة محفوظة لدى الكثيرين، مكتوبة باللغة الكردية.ومنشورة في جوهر الحقيقة، ١١ :٣٠٤.

(٥) ()جزء من رسالة صوتية منشورة محفوظة باللغة الكوردية تمت ترجمتها إلى اللغة العربية.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥ هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان، مجدي بن عبد الخالق، وغيرهما، مكتبة الغرباء - المدينة النبوية. مكتب دار الحرمين - القاهرة، سنة الطبع: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.١: ٤٦.

ثالثاً: هظم النفس وكسب صفة التواضع.

كان (رحمه الله) يوصي المريدين ويعلمهم جهادَ النفس الأمارة وهضمها فيقول: « وأوصيكم بالجماعة فيها ما أمكنكم، فصلاةُ الجماعة بسبعٍ وعشرين درجةً، فمراعات هذه الأداب الشرعية مع هضم النفس وجهادها من الغرور والكبر هذا هو دين الاسلام، وهذه هي الطريقة، قال الله تعالى: {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا}[1][2].

وفي رسائلَ أخرى يشجّع المريدين على هضم النفس والتواضع ويُبَصّرُهم بمنزلة التواضع، ويذكّرهم بتواضع العلماء الأعلام والأولياء العظام، وكذا تواضع آبائه المشايخ والتأسي بهم، فقد جاء في رسالة له :» وأما من بدت ثمار الاستفادة تظهر عليه جراء سلوكه وأراد المحافظة عليها والوصول إلى غيرها فعليه بهظم النفس وترك ما يشوّش عليه حاله من النظر إلى الأحوال والتكلّم بها والانشغال بها عن متابعة السلوك»[3]. وكتب إلى بعضهم في رسالة أخرى له: «كونوا متساهلين متواضعين مع بعضكم، فاليعاونكم الله تعالى وتمدّكم همّة الاولياء[4].

رابعاً: الوقاية والحذر من حِيلِ النفس ومكايدِ الشيطان:

كان الشيخ مهتماً بهذا الجانب وموصياً مريديه في رسائله ومواعظه قائلاً:» فلا بدّ أن تعلموا أنّ النفس والشيطان، والرذائل والأمراض الباطنية المهلكة، كالعجب والكبر والرّياء والكذب والغرور والطمع والشهوة وحب الجاه، وبافي الصفات الذميمة للبشر، مانع وحاجب لاتباع الشريعة، ولكن بحسب» إنَّ لكل داء دواء، فإنّ في الطريقة دواء وعلاج لكل تلك الامراض، فتزكية النفس وتزكية القلب، وتبديل الرّذائل بالصفات الجليلة، بالحب والاخلاص، والقناعة والعفة والصداقة، والتواضع والخشوع، وباقي الفضائل، كلها من انتاج الطريقة، إذاً فالطريقة هي خادمة للشريعة، والأولياء هم علماء علم الطريقة،حيث سماه الرسول ﷺ بعلم الأسرار، فهم يسعون لإسعاد المسلم حسب استعدادهم قدر الإمكان ووسعة الزمان[5].

(١) سورة الاسراء ، الآية: ٣٧.
(٢) الشيخ محمد عثمان، سراج القلوب،.ص:٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٣) الشيخ محسن المفتي ، جوهر الحقيقة، ١١: ٣١٥.
(٤) ينظر: الشيخ محسن المفتي ، جوهر الحقيقة، ١١: ٣٠٤.
(٥) جزء من رسالة صوتية منشورة للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي نفسه.

خامساً: إرشاد الأتباع إلى عدم الإدعاء، وتحذير المريدين من عدم تصديق المدّعين.

كان الشيخ (رحمه الله) يرشد منتسبيه إلى عدم ادعاء العلم والمعرفة وبلوغ المراتب حتى وان قطعوا شوطا كبيرا، حيث كتب رسالة للمنتسبين والمحبين له وللطريقة بهذا الشأن فقال:» ياأحبائي الأعزاء نسمع بين الفينة والأخرى أخبار إدعاء البعض ممن ينسّبون أنفسهم إلى الطريقة العلية النقشبندية وهم في الحقيقة لم يذوقوا شيئاً من لبها ولا تخلّقوا بأخلاقها ولاسلكوا في مدارجها فيزعم أحدهم للذاكرين سماع ذكر الموتى، ويعتقد أن الناس يستفيدون منه ومن الكرامات الصادرة على يديه، وأنَّ المرشد انتظر مجيئه أربعين سنة، وغير ذلك من الإدعاءات «[١]. ثم ينصحهم بعدم الإغترار بالأقوال هؤلاء المدّعين وأمثالهم وعدم تصديقهم لهم فيقول:

«ياأحبّئي: إنّ هذه الإدعاءات مصدرها النفس الأمارة بالسوء والوهم والتخيل التي يُحذّر منها أهل الطريق، وهي نتيجة التلبيس الذي يتزعّمه إبليس اللعين لإضلال عباد الله تعالى، فاعلموا أنّ كل من يصدُر منه مثل هذه الإقوال هو أبعد الناس عن الاستفادة من الطريقة العلية وسلوك سُبُلها، فهو قد شغل نفسه بالأحلام والأوهام وترك الحقيقة والمراد الأعظم من الإسلام وهو معرفة الله عز وجل والعبودية له سبحانه، والتي لا أقبل من أحد من أتباعي مثل هذه الأمور التي تصرف المسلمين المتعطّشين للاستفادة المعنوية من الدين عن المراد والمقصود وتلقيهم في بحار الغفلة والأوهام من حيث لا يدرون»[٢].

وكتب لأحدهم : حفظكم الله من الأهواء والفرور دخيلك مائة دخيل عن الأهواء والغرور في طريق الشريعة والطريقة، أنا أقدم الموعظة لنفسي ولك حتى لانصاب بالأهواء ولكي نبتعد عن حظوظ النفس ولا ندّعي شيئاً، وإياك أن تذكر الكرامة أبداً، لا لك ولا لي....الخ [٣].

ب- فهم الشيخ سراج الدين للتصوف من الجانب العملي المتعلق بالدنيا والمعيشة.

إنّ تصوّف الشيخ الراحل (رحمه الله) لم يكن مشتملاً الأمور المتعلقة بالآخرة وحدها؛ بل كان مرتبطا بالدين والدنيا معاً، ولم يكن فهمهُ للتصوف قاصراً علىى مسائل السير والسلوك والذكر والعزلة والعبادة؛ بل كان يشمل الجانب الدنيوي أيضاً، كالعمل على تحسين المعيشة، والحصول على لقمة العيش عن طريق الكسب الحلال والتجارة، ومشتملاً أيضاً على تقديم الخدمات للناس بشكل عموميّ. هنا نشير ملخّصاً إلى امورٍ كان الشيخ الرّاحل يهتم بها، وهي:

(١) الشيخ محسن المفتي ، جوهر الحقيقة، ١١: ٣١٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ينظر: الشيخ محسن المفتي ، جوهر الحقيقة، ١١: ٣٢١.

أولاً: كسب الحلال. إنّ تشجيع الناس وبالأخص المريدين والمنسوبين على الكسب الحلال وطلب الرزق كان جزأً من تصوف الشيخ الرّاحل، عملاً بقوله تعالى: {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم...}، الآية[١]. وهي عامةٌ في العمل لأجل الدين والدنيا. وعملاً بقوله(ﷺ): ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))[٢]، وكذا بحديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ((احْرُثْ لَدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا))[٣]، وغيرها من الأحاديث، فكان يمتلك حدائق وبساتين ومزارع شتى في دورود ومحمود أوا في إيران، ثم اشترى حديقة كبيرة في بغداد في منطقة الرضوانية، واشترى قرية تابعة للسليمانية بأسم (حه سه نه كه وره) تطبيقاً للسّنّةِ النبوية [٤]، فربّى فيهنّ الأغنامَ والمواشي، ووقف خيراتها على طلبة العلم والمدارس النقشبندية. وكان (رحمه الله) يهتم أيضاً بشؤون الناس ومعايشهم ومصادر أرزاقهم، وكان الناس يستفسرون منه في أعمالهم وتجاراتهم، والشيخ يسمع لهم بكل حلم وأناه، ويخبرهم بما هو نافع لهم في الدّين والدّنيا.

ثانياً: خدمة الفقراء والمساكين وابن السبيل.

إنّ خدمة الناس عامةً وخاصةً في الأزمات الاقتصادية، كانت جزأً هاماً من تصوف الشيخ سراج الدين. فقد كان الشيخ شخصيّة معروفةً على المستوى الاقليمي والعالمي، فالتصوّف عنده من الجانب الدنيوي هو خدمة ذوي الحاجات، فقد قدّمَ هو واسرته طيلة حياتهم أباً عن جَد، خدمات جليلة للناس عامةً وللمسلمين والمريدين بالأخص، فكانوا معروفون بالسخاء والجود والبذل والعطاء، وتلبية احتياجات الناس عملاً بقوله تعالى: {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٥]. وكذلك عملاً بالحديث الشريف: ((الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ))[٦]. فكان الشيخ المرحوم أحسنُ من يطبق الكتاب والسنّة، ويهتمُّ بخدمة الناس ويلبي

(١) سورة التوبة ، الآية: ١٠٥.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) محقق، ٢٠: ٢٩٦.

(٣) إصلاح المال، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان، سنة الطبع ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. ص:٣٤.

(٤) أي: الحسن الكبير، سميت هذه القرية بأسم أحد الصالحين حيث يوجد فيها ضريح باسمه، وهي تابعة لناحية (زه راين)، واقعة بين قضاء دربنديخان ومحافظة السليمانية ويبتعد عنهما قرابة ٣٠ كم..

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

(٦) المعجم الكبير، لأبي سليمان بن أحمد بن أيوب بن اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ، ط:٢، عدد الأجزاء:٢٥. ١٠: ٨٦.

احتياجاتهم، وكأنّه لاعمل له غير ذلك.

ثالثاً: علاج المرضى وتقديم الخدمات للضيوف وإكرامهم.

بعدما رجع الشيخ الراحل من خارج البلاد عام ١٩٨٤، واستقر في بغداد، توافد عليه الضيوف من كلّ جانب، وبالرغم من الازدحام والإقبال الكبير عليهم، كانت الخدمات موجودة ليل نهار، واستقبال الضيوف وحتى استقبال الغرباء منهم بامر من الشيخ (قدس سره) كان موضع الاستفسار والتعجّب، فكان البيت والخانقاه طيلة بضع سنين، مأوي للفقراء والمرضى ٣٣والمساكين ليلً نهار، فلم يكن من عادتهم أن يسألوا الزائرين، ما الذي جاء بك وما حاجتك؟ وكم ستمكث؟ وماهو عملك وشغلك؟.ومتى ستغادر؟ وكان امراً عاديا بالنسبة للمريض الذي عجز الاطباء عن علاجه أن يبقى عندهم مدّةً مديدة أو لحد شفائه، فكانت الضيوف والزائرون وذوي الحاجات يُخدَمون ليل نهار طيلة بقائهم عندهم، يُطعمون لثلاث وجبات بالسخاء والجود وبأحسن موجود، ويبيتون في الخانقاه، ولا يكلّفون بأيِّ أمر من الأمور، ولا يُجبرونَ على المشاركة في مجالس الذكر التى كانت تقام في الخانقاه غدوا وعشياً، وحتى أن الناس كانوا أحرارا في أقامة الصلوات الخمسة ومشاركتهم في العبادات،[١].

وقد استقرَّ الشيخ في بغداد في محلة (حيّ الحمراء) قرب جامع ذي النورين، واستأجر دارين لأجل الضيوف والوافدين. فبالرغم من أنه ترك قصوره وحدائقه وبساتينه وخانقاه في محمود آوا ودورود في دولة ايران، آلا إنَّ الحكومة العراقية لم يهب له شبراً من الأرض حتى يبني عليه خانقاهُ، بل ولم يسمح له بآن يبني المسجد والخانقاه في أراضيهِ وحدائقه التي اشتراها[٢]، وهذان الداران رغم ضيقهما نسبياً، ألا إنَّهما كانا كفيلين بأن يسعا المئات من الزائرين وذوي الحاجات، فيبقون فيها قدر ما يشاؤون. وهذا الجانب الخدمي الذي كان يراه العامّة رأي العين، كالشمس في ضحاها والقمر إذا تلاها، يشير الاستاذ الأديب الملا عبداللطيف الباموكي إلى جزء من تلك الخدمات فيقول:» وعن طيب خاطر يقوم بإطعام الطعام، وإيواء المنام، وتداوي المرضى، وعلاج الأورام والأسقام لوجه الله تعالى، وتخفيفا للبلاء على عباده، وهي متاحة للناس سواسية، لا فرق بين عنصر ولون ولسان ووطن، وعمر وجنس وفقيرٍ وغنيٍ ومنزلة وقرابة ألا

(١) كل من زار الخانقاه في بغداد يشهد على تلك الخدمات، وقد نشرت مؤخرا كثير من الصور ومقاطع الفيديو تشهد لذلك. حيث تبين وجود خدمات جليلة والصبر والتحمل الذي كان خدام الخانقاه يتحلّون بها.

(٢) ينظر: الشيخ المفتي، جوهر الحقيقة ،٦:٣٥٧.

رعاية لقول النبيّ الأكرم ﷺ: ((أنزلوا الناس منازلهم)) [١]، [٢]. ثم يقول: «فكم من فقير بائس، ومريضٍ عاجز، ومسافر معوز، ومعذب في نفسه ومحيطه، وجَدَ من لدنه البلسم الشافي، والدواء الناجع، والهدوء والسكينة والارتياح»[٣].

الكثير من الفقراء الذين لامأوى لهم ولاعائل كانوا يذهبون لخانقاوات الشيخ فيُطعَمون ويُخدَمون ويَبيتون فيها بإذن من الشيخ سراج الدين، فخدمة المرضى ومعالجتهم.وتمويلهم بالوصفات الطبية والادوية الشعبية والكيمياوية كانت متاحةً على الدوام، وكذلك خدمة المحتاجين وتلبية احتياجاتهم المادية والمعنوية على العموم عُرفوا أم لم بعرفوا ،ويتمثل ذلك في جوابه للرّسائل الكثيرة الواردة عليه من كل المدن والقرى والبلدان، حيث كانوا يستفسرون منه لامورهم الشخصية، كاختيار العريس أو تسمية الأولاد أو طلب الدعاء أو المشورة وما إلى ذلك.

رابعاً: خدمة العلماء وتوقيرهم.

وذلك بإعتبار أنهم ورثة الأنبياء والمرسلين، وكذلك خدمة طلاب العلم والإنفاق عليهم.وكان رضي الله عنه يرى في خدمة العلم وأهله الشرف الأكبر، لذلك قد اختار لنفسه لقب الخدمة حيث كان يكتب في ختام رسائله جملة «خادم العلماء والفقراء والمساكين»[٤]، ويفتخر بهذا اللقب من بين ألقابه، مثل لقب: «سلطان الأولياء الكاملين» و «نائب سيّد المرسلين»، و «غوث المستمدّين» و «الغوث الأعظم» و «صاجب الضمنيّة الكبرى الأتم» وغيرها، مما يدل على تواضعه وعلو شأنه، ولم يكن اختياره لهذا اللقب إدعاءً ورياءً، بل كان حقاً خادماً للعلماء والفقراء، يعاونهم مادياً ومعنوياً، يبعث بالهديا إليهم في مناسباتهم، ويتكلف نفقات كثير من المدارس النقشبندية وطلابها. ومدارسه ألتي يصعب تعدادها في العالم الإسلام خير شاهد على ذلك، والحديث عنها وعن الجانب الخدمي من حياته يطول، لذلك اكتفينا بهذا القدر كمثالٍ لخدماته الجليلة، ولكي نبرهن على أن التصوّف من الجهة الدنيوية عبارة عن خدمة الناس عن الصالحين.

(١) سنن ابي داود، لأبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، سنة الطبع: ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧، ٧:٢١٠.

(٢) الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي ، سراج القلوب، ص:٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ص:٩٧.

(٤) ينظر: سراج القلوب.للشيخ سراج الدين،ص:٢٨٠،٢٨١.، وجوهر الحقيقة، للشيخ المفتي ،٨ :٤٣ـ٤٦.

وختاما نقول: مهما يعيش الإنسان، يعبد الله ويخدم الناس، فلا بُدّ له من الانتقال من هذه الدنيا الفانية، حبث قال تعالى مخاطباً رسولَه الأكرم ﷺ، {وما جعلنا لبشرٍ من قبلكَ الخُلدْ أفإن متتّ فهم الخالدون}، ولقد توفي قطب العارفين حضرة الشبخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي وانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد عمر مديد مبارك تجاوز المائة سنة، وكانت حياته مليئةً بخدمة العلم والعلماء والفقراء والمرضى والمساكين وترويج الشريعة والطريقة، في يوم الخميس بعد أن أجروا له عملية جراحية، وكان ذلك في ليلة القدر ليلة: ٢١ من شهر رمضان المبارك لسنة: ١٤١٧ للهجرة، الموافق لـ:٣١/ ١٩٩٧/١. في اسطنبول [١]. وتلك هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وقد رثاه الكثير من العلماء والأدباء والشعراء، ومنهم الشيخ محسن المفتى بأبيات من الشعر بعد رحيله فقال:

هـوى الـكـوكـب الـــدرّيُّ فـالـلـيـل سَـرمَـد ... وأظـلـمـت الـدنـيـا وأشـــرق مـرقـدُ
يَـعُـزُّ عـلـى الـدّيـنِ الـحـنـيـف أفـولـه ... إذا اعـــوزتِ الايـــام هـــادٍ ومـرشـدُ
رويـــدكـم مـهـلاً فـــإن مُـجـــدّداً ... لـكـل زمـــان يـصـطـفـيـه مـحـمّـدُ
تـسـامـى لـهـا عـثـمـان وارثُ سـرّه ... وذاكـــم ولـــيّ الـعـهـد نـعـم الـمـجـددُ
مـلـوك مـلـوك الارض تـعـنـو وجـوهـهـا ... لـعـزتـكـم بـــالله ، فـــالله نـحـمـدُ
أيـــا نـاشِـد الـفـتـح الـمـبـيـن بـغـيـرهـم ... تـنـكّـب فـبـاب الـفـتـح دونـك مـوصـدُ [٢]

ولقد أقيمت مجالس العزاء في عشرات الدول العالمية عند وفاته، وبعد ذلك أقيمت مناسبات شتى كبيرة في مدن العراق والايران بسبب ذكرى ولادته، أحداها كانت في جامع عمر بن الخطاب في السليمانية، فحضرها جمع كبير من العلماء وأهل الطّرق من محافظات العراق، وفي العاصمة ـ أربيل ـ عام: ٢٠٠٣م، أقيمت لأجله احتفال كبير في جامع مولانا خالد النقشبندي، وحضر الاحتفال أكثر من ألف عالم من علماء التصوف من المريدين للشيخ الرّحل، وكذلك جمّ غفير من مريدي الطرق الصوفية الأخرى ومن كل الاطراف.

(١) ينظر: به لكه نامه بو رونكردنه وه ي هه ندي له ئادابي تصوف، (الأدلة في بعض آداب التصوف) للاستاذ عبدالله مصطفي صالح، إقليم كوردستان، ص: ١.

(٢) ينظر: مجلة المنهج، مجلة تربوية تصوفية، تصدرها أهل السنة والجماعة أتباع النقشبندية، العدد (٤٢ـ٤٣) السنة التاسعة، ٢٠٠٧ م. ص: ١٤٨.

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأثابه عن خدماته الجليلة للعلم والعرفان والتصوف وأهله، وأسكنه وإيانا جنة الخلد، بمنّه وفضله وكرمه (آمين يامُجيبَ السائلين) وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه والعلماء والعارفين أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الخاتمة

نستنتج مما أسلفنا إنَّ الخوض في مجال هذه الدِّراسات يُمدّنا بمعلومات غير معروفة، فالحديث عن الحياة العلمية والشخصيةِ للشيخ سراج الدين، يدلينا على كثير من المعلومات التى لم تكن نترقب معرفتها، فلا يعرف قدر العلماء والحكماء والمشايخ والأولياء، إلا من مرَّ ببرزخ البحث والدراسة والتعمق والتحقيق.

وتبين لنا من خلال دراسة شخصيّته الصوفية: أن الشيخ سراج الدين كان حقاً شيخاً للطريقة، ومرشدا كاملاً حاز على مقامات الواصلين، وصوفياً زاهدا ورِعاً بمعنى الكلمة، أرشدَ الناس إلى التوبة والعبادة والتقوى وربي السالكين ، وكان حبراً وبحراً في جميع العلوم الكسبية والوهبية.

لذلك نوصي أهل العلم من زملائنا المعاصرين أن يقوموا بدراسة حياة الكثير من العلماء والعارفين المشهورين منهم والمغمورين في بلداننا الإسلامية، الذين لم تُدرَس حياتُهم وسيرتُهم أكاديمياً، حتى وإن كانت الدراسة تشمل جانبا واحدا من حياتهم، وذلك من أجل مزيد الإفادة والاستفادة. وأوصيهم أيضا بالتثبّت مما ينقلونها، لتكون البحث والرسالة موضوعية.

وختاما أخاطِبً روح هذه الشخصية الطاهرة النادرة ـ الشيخ سراج الدين ـ الذي كنت بصدد إلقاء الضوء على الجانب التصوفي من حياته مع نبذة من حياته الشخصية والعلمية، فأقول: يا أجمل مَن رأه الراؤون في عصرنا، واحلاهم منظراً، وأزكاهم اخلاقا، وانقاهم سيرة، واعلاهم نسبا واغناهم قلبا، واتقاهم لربه، واوفاهم عهدا، واسرعهم مددا، وأرقاهم واسماهم وأعلمهم وأغلاهم وأغيرهم..قدس الله سركم، ونفع الأمة الاسلامية بكم وبجهودكم في الأولى الأخرة، فقد أريتم الناس الفرقة الناجية، أقر الله أعين المحبين بكم في الدنيا والآخرة.

وصلى الله تعالى وسلّم على المبعوثِ رحمةً للعالمين سيدنا حضرة محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. أدب النفس، محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت: نحو ٣٢٠هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السَّايح، الدار المصرية اللبنانية، مصر، سنة الطبع، ١٤١٣هـ.

٢. الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن السبكي (ت:٧٧١ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة الطبع: ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٢.

٣. إصلاح المال، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت:٢٨١هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان، سنة الطبع : ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤. الالطاف الإلهية شرح الدرر الجلالية، للعلامة الاستاذ الملا محمد باقر البالكي، كتبه خالد رفعت الفقيه، مطبعة اسطنبول، ١٩٩٤م.

٥. باخجه ي بؤن خؤشان، (روض الرياحين) للاستاذ ملا أحمد القاضي البنجويني، يحتوي على بعض من كرامات طائفة الشيخ سراج الدين، مطبعة رابرين، سنة الطبع: ١٩٨٤ م.

٦. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، للامام محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (ت: ١١٥٦هـ) مطبعة الحلبي، سنة الطبع: ١٣٤٨هـ،عدد الأجزاء: ٤.

٧. به لكه نامه بو رونكردنه وه ي هه ندي له ئادابي تصوف، (الأدلة في بعض آداب التصوف)، للاستاذ عبدالله مصطفي صالح الفنايي، إقليم كوردستان، أربيل. سنة الطبع: ١٩٩٧ م.

٨. بيري نوراني، زياني داناو زاناي ره ببانى شيخ عبدالله ي خه رباني، (الشيخ النوراني، حياة وحكمة العالم الرّباني حضرة الشيخ عبدالله الخرباني)، للشيخ محسن المفتي، مطبعة روزهه لات، لسنة:١٤٤٥ ه.

٩. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرو، دار الفكر،عام النشر: ١٤١٥ هـ ، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس),

١٠. تأريخ علماء الكورد، للشيخ طاهر بن ملا عبدالله البحركي، مطبعة آراس ـ أربيل ، سنة الطبع ٢٠١٠، عدد الاجزاء ٣.

١١. تفسير سورة التين، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي القادري، (ت: ١٩٩٧م)، مطبعة بغداد، (د. ت). وقف لوجه الله تعالى.

١٢. جه بكى كول له كولزاري عوثماني، الديوان المسمى بـ «باقة وردة من الحديقة العثمانية «.الطبعة الاولى كانت في بغداد، سنة ١٩٩١م. في مطبعة الحوادث، والطبعة الثانية ،كانت عام: ١٩٩٢.

١٣. خلوة السالكين وبهجة المتقين في حياة ومناقب حضرة قطب العارفين الشيخ محمد علاء الدين النقشبتدي، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي، مطبعة كوردستان، لسنة:٢٠١٦ م، عدد المجلدات: ٢.

١٤. ديواني ئه حسه ن(ديوان أحسن)، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي من منشورات أهل السنة والجماعة، أتباع النقشبندية، العدد:٤٥، ط:٢، أربيل ، لسنة :٢٠١٨ م.

١٥. الرسالة الجوابية على المسائل الشرعية في أمور الطريقة والمريدين ، للشيخ محمد عثمان سراج الدين مطبعة مهر، سنة الطبع: ١٣٧٢ هـ.

١٦. الرسالة القشيرية، للامام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف (دار المعارف، القاهرة).

١٧. سراج القلوب، الشيخ محمد عثمان النقشبندي (رئيس الطريقة النقشبندية)، طبعة:٢ اسطنبول ـ تركيا ، سنة الطبع : ٢٠٠٩.

١٨. سنن ابن ماجة ،لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى الحلبي، (د.ت)، عدد الأجزاء:٢.

١٩. سنن ابي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، سنة الطبع: ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٧.

٢٠. الشهب الثاقبة، للشيخ محمد عثمان سراج الدين النقشبندي، مطبعة الحوادث ـ بغداد، لسنة:١٩٩١ م.

٢١. صحيح مسلم، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ـ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية : فيصل عيسى البابي الحلبي القاهرة، عدد الأجزاء: ٥.

٢٢. : فتاوى الرملي، لشهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت: ٩٥٧هـ)، جمعها: ابنه، شمس الدين محمد الرملي (ت: ١٠٠٤هـ) ، المكتبة الإسلامية،ت ،ن: ١٤٣١. عدد الأجزاء:٤.

٢٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السَلامي، البغدادي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، محقق، مكتبة الغرباء. مكتب دار الحرمين ـ القاهرة، سنة الطبع: ١٤١٧هـ.

٢٤. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي،المعروف بعبد الحي الكتاني (ت:١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان

عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: ٢.، (د. ت).

٢٥. كأس الشاربين، ملاأحمد القاضي البينجويني،مخطوطة، مكتوبة بخط المؤلف، عدد الوحات:١١٥.

٢٦. كه وهه ري حه قيقه ت، (جوهر الحقيقة)، للشيخ محسن الشيخ خالد المفتي، إقليم كوردستان ـ اربيل.١٢ مجلدا ولم يكمله، المجلد الاول طبع سنة :٢٠٠١ م، والمجلد ١٢ طبع سنة : ٢٠٢٣ م.

٢٧. مجلة الطريقة، مجلة تربوية تصوفية، تصدرها أهل السنّة والجماعة، أتباع النقشبندية،، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الثاني ١٤٢٩، للهجرة، أيار ٢٠٠٨ م.

٢٨. مجلة المنهج، مجلة تربوية تصوفية تصدرها أهل السنة والجماعة أتباع النقشبندية، العدد (٤٢ ـ ٤٣) السنة التاسعة، ٢٠٠٧ م.

٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، سنة، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.

٣٠. مسند الامام أحمد بن حنبل، للامام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ، عدد الاجزاء: ٥٠.

٣١. المعجم الكبير، لأبي سليمان بن أحمد بن أيوب بن اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ، ط: ٢، عدد الأجزاء: ٢٥.